حِــوارُ الثَّقَافَات

أفكار ومُقاربات معاصرة

الدكتور
عصام خليل الدَّايح

ديوان العرب
للنشر والتوزيع

دار ديوان العرب للنشر و التوزيع مصر – بورسعيد

اسم العمل : حِـوارُ الثّقَافَات - أفكار ومُقاربات معاصرة

اسم المؤلف : د. عصام خليل الدايح

الجنسية : سوريا

التصنيف الأدبي : دراسة فكرية معاصرة

رقم الإيداع : 9137 / 2019

الترقيم الدولي : 978 - 977 – 6707 - 28 – 3

تدقيق لغوي : هبة ماردين

تصميم الغلاف : محمد وجيه

الموقع الرسمي للدار : http://dewanalarab.com

المدير العام : محمد وجيه

تليفون : 00201211132879

الإهـــداء

إلى المُربي الفَاضل والدي خليل الدَّايح

(طيَّبَ الله ثَراه)

الذي لولا غرسهُ لقيمِ العلمِ والأخلاقِ

والعملِ الصَّالحِ والتسامح

في نفسي ما كانت هذه الثمار والأزهار

يانعة وفوَّاحة بالعطر والمحبة

فإلى روحه الطَّاهرة أرفع ثواب هذا الجهد.

****

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

مُقدّمَة

شكَّلتْ أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001نقطة تاريخية فاصلة في تاريخ الإنسانية الحديث، وفي العلاقات بين الشَّرق والغرب، وبخاصة بين العالمين العربي والغربي. لقد كانت أحداث الحَادي عشر من سبتمبر كارثة رهيبة بكافة خسائرها البشرية والمادية وتداعياتها ونتائجها، وقد استدعى الحَدَث مراجعة شاملة للعلاقات بين الولايات المتحدة والدِّول العربية والإسلامية، ومراجعة شاملة لسياسات الولايات المتحدة التي سرعان ما وضعت العالم العربي والإسلامي في قلب العاصفة عندما أعلنت الحرب على الإرهاب بدايةً من أفغانستان وانتهاء بالعراق.

ويحظى موضوع الحِوار بين الثَّقافات والأديان والحِوار مع الغرب بأهميّة متزايدة في عالمنا العربي، ولاسيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر2001، حيث كُتِبَتْ عنه عشرات البحوث، وعُقدت من أجله عشرات

المؤتمرات والنَّدوات واللقاءات التي أسفر بعضها عن عقد اتفاقيات لهذه الحِوارات، وتشكيل لجان مشتركة لهذه الاتفاقيات تقوم على وضع الأهداف وخطط العمل المشتركة للمؤتمرات والنَّدوات.

كما تمَّ في الإطار ذاته إنشاء العديد من مراكز حِوار الحضارات والأديان في الوطن العربي لتشجيع ثقافة الحِوار مع الآخر ونشرها وترسيخ قيم التعايش والتفاهم بين الثقافات والشُّعوب.

إنَّ الحِوَار هو البَديل الحَضاري للصِّدام بين طرفين، ومفهومه القبول بأحقِّية الآخر في الاختلاف، وأحقيته في أن يكون له رأيه المستقل الذي لا يُفرَضُ عليه من طرفٍ آخر. فالحِوَار طبيعة بشرية بامتياز، وحَاجة إنسانية واجتماعية وثقافية وروحية، ولذلك لم يتوقف الحِوَار معَ الآخر في يومٍ من الأيام في القرون الماضية.

إنَّ تنامي الدَّعوات العربية والغربية إلى الحِوَار في وقتنا الرَّاهن يدل على صحة انتهاج الحِوَار طريقاً للوصول إلى نتائج مثمرة تقلل من الخلافات والصِّدامات وتفسح المجال لصنع التفاهم والتعاون والسلام.

إشكالية المصطلح

يتداول العديد من الباحثين مصطلحات "حِوَار الحَضارات"، و "حوار الأديان"، و" الحِوار الإسلامي المسيحي" في أبحاثهم ومحاضراتهم، ولكنَّنا نميل لاستخدام مصطلح " حِوَار الثقافات " بدلاً عنها، لأننا نعتقد بوجود حضارة إنسانية واحدة تتألف من ثقافات وأديان مختلفة، وبالتالي فالحِوار يكون بين الثقافات المكوِّنة للحضارة الإنسانية.

ويعتبر "حِوار الثقافات" من أكثر القضايا المعاصرة إشكالية ذلك لأنَّ كلّ ثقافة إنسانية تشكِّلُ عالماً خاصَّاً له تقاليده الاقتصادية والثَّقافية، والدِّينية، والتراثية، واللغوية، والاجتماعية.

ولذلك يصعبُ على ممثلي ثقافات مختلفة التَّفاهم فيما بينهم، ولكنَّهم يجب أن يدركوا أنَّ مشكلات العصر الرَّاهن الأكثر تعقيداً والمتداخلة بين الثَّقافات المختلفة مستحيلة المعالجة دون تعاون الثَّقافات.

وسنقدِّم في هذا الكتاب العديد من موضوعات حِوار الثقافات، ولاسيما بين العالمين العربي الإسلامي والغربي المسيحي راجياً من الله العليّ القدير أن تكون إسهاماً متواضعاً في طريق الحِوار الطَّويل.

وأحمدُ الله حمداً كثيراً يليقُ بنعمه التي بها تتم صالحات الأعمال.

الدكتور

عصام خليل الدَّايح

*****

الفصل الأول

دور وسائل التواصل الرقمي في حِوار الثقافات

الفصل الأول

دور وسائل التواصل الرقمي في حوار الثقافات

يعتبرُ عصرنا الراهن عصرَ التفجُّرِ التقني بامتياز، ومن أهم أوجه الثورة التقنية الحديثة الجوانب الالكترونية الرقمية التي دخلتْ مرحلةً متقدمةً تمكنت خلاله من بناءِ فضاءٍ معلوماتيّ جديد تخطَّى بجدارة الأطر المعروفة التقليدية، حيثُ أضحى العالم الكبير قريةً صغيرةً يتم تداول وتبادل العلوم والمعلومات بسرعةٍ مذهلةٍ، ماساهمَ بتوفير بيئةٍ مناسبةٍ للحوارِ بكافةِ أشكاله: الحوارُ بين أبناءِ المجتمع الواحد، والحوارُ بين أبناء الثقافاتِ المختلفةِ من خلالِ قنواتِ التواصلِ الرقميّ مما يبشّرُ بميلادِ حوارٍ جديدٍ غير مألوف في تاريخ البشرية هو

الحوارُ من خلال قنوات التواصل الرقميّ، وفيما يلي إضاءة مفيدة لقنوات الحوار الرقميّة وأهدافها الراهنة والمستقبلية.

قنواتُ التواصلُ الرقميُّ"1"

أنتجَ عصرُ التفجّرِ الرقميّ حزمةً من قنواتِ التواصلِ الحواريّ الرقميّ، ومن أهمها نذكرُ على سبيلِ المثال لا الحصر الوسائل التالية:

أجهزةُ الهاتف المحمول الذكيّة:

ترتبطُ هذه الهواتف بالاتصال الفضائي والقدرة على تلقي كمٍّ هائلٍ من الصورِ الثابتةِ والمتحركةِ القادرةِ على تسجيلها وإعادةِ بثها، حيث تجعل مستخدمها على تواصلٍ دائمٍ

مع أحداث العالم أولاً بأول الأمر الذي يساهم في بلورة الوعي الإنسانيّ بمختلفِ التحديات والقضايا التي تهمُ العالم.

ولعلَّ ما يعزّزُ دورَ الهواتف الذكية كوسيلةِ اتصالٍ وحوارٍ هو انتشارها الواسع في مشارق الأرض ومغاربها وأعداد مستخدميها الذي أصبح يُعدُّ بالمليارات وليس بمئاتِ الملايين.

شبكاتُ التواصلُ الاجتماعي:

تمثّلُ شبكاتُ التواصلُ الاجتماعي مثل (الفيسبوك والتويتر واليوتيوب) من أهم قنواتِ التواصلِ الاجتماعيّ العالمية ذات الفعالية الكبيرة في التواصل والحوار بين المليارات من البشر في مختلف قارت العالم.

ويعتبرُ موقع (فيسبوك) من أهمِّ مواقع التواصل الاجتماعيّ التي تجاوز عدد مستخدميه مليار مستخدم.

ولم تعدْ هذه الشبكة وسواها وسيلة تواصل إنساني وحوار فقط، بل فتحت آفاقاً جديدة للإعلام التفاعليِّ البديل كما في تقنية (الويب) التي تمثل نقلةً نوعيةً هامةً في هذا المجال.

شبكة الانترنيت:

تستخدمُ تقنيةُ شبكةِ الانترنيت على نطاقٍ واسعٍ في العالم كوسيلةٍ هامةٍ من وسائل البحث والدراسة والنشر والتواصل، وأصبحتْ هذه الشبكة بتقنيتها العالية وغزارة معلوماتها وتنوعها مصدراً من أهم قنوات الحوار بين الشعوب والحضارات المختلفة، فضلاً عن كونها رافداً من أهم روافد المعرفة وتبادل المعلومات والمعارف.

الكتبُ الالكترونيةُ

تزخرُ الشبكةُ العنكبوتيةُ بمئاتِ المكتبات العالمية التي تسابقتْ إلى نسخ كتبها ومخطوطاتها إلكترونياً وجعلتْ معظمها في متناول المتصفحين مجاناً، ومن هذه المكتبات الهامة:

مكتبة الكونغرس ومكتبة الإسكندرية ومكتبة الملك عبد العزيز والمكتبة الوطنية بدمشق وسواها.

ولعلَّنا نتذكرُ الدور الحضاري الكبير الذي قامت به مكتبة قرطبة ومكتبة الاسكندرية في الحوار بين الشرق والغرب وساهمتا في القرون الوسطى في خلق مثاقفة حضارية فعَّالة عبر ضفتيّ المتوسط.

واليوم يعود إلى المكتبات الرقمية دورها الحضاري، وبزخمٍ منقطع النظير عندما تغدو المعلومة في متناول من يطلبها في دقائق، وتستطيع أن تدخل

إلى أي مكتبة، وتتصفح كتبها متى شئت، وهذا يساهم بإزالة الجدران الصّماء بين الثقافات المختلفة، ويجعل القارئ في مطالعته لأيّ كتاب من موقع الكتروني خاص بالكتب أو مكتبة الكترونية يشارك بعملية حوار مع الآخر على نطاق نفسي وذهني ومعرفي شديد الخصوصية ما يجعل الحوار كما في شبكات التواصل الاجتماعي الأخرى ذو طابعٍ شعبيٍ واسعٍ لا يقتصر على النُخبِ الفكرية والسياسية فحسب.

المدوناتُ الشّخصيةُ:

أصبحت المدونات الشَّخصية منابر ثقافية وحوارية هامة، حيثُ باتَ بإمكان أيّ شخص لديه أفكار أو كتابات يود عرضها على الناس أنْ ينشئَ له مدونة شخصية، ومن خلال هذه المدونات الشَّخصية يتعرف الناس على بعضهم وأفكارهم،

ويتيح لهم الحوار من دون أي حواجز أو قيود. وساهمت هذه المدونات الشّخصية بتنشيط التواصل المعرفي والحوار الفكري بين أبناء المجتمع الواحد وبينهم وبين أبناء الثقافات الأخرى.

....

كسرُ الحواجزِ:

تؤثرُ وسائلُ الحوار الرقمي المختلفة في صياغة الرأي العام وتشكيله، ذلك لأنها كسرت الحواجز وفتحت أبواب الاتصال بكل سهولة وفاعلية. لقد اخترقت الروتين السائد، حيث كانت الصحف والمجلات والمنشورات ومحطات البث الإذاعي والتلفزيوني بحاجة إلى تراخيص تتطلب جهداً ومالاً، فضلاً عن كونه معرضاً للمزاج السياسي السائد. وهكذا تكون السِمة الأكثر أهمية للانترنت هي قدرته على الاتصال الفائق بين الناس.

مزايا الانترنت كوسيلة للحوار:

بيّنَ "والزر" أربع سمات للانترنيت كوسيلة للاتصال والحوار هي:

1. اتصالٌ وقتيٌّ يحدثُ في زمنِ الاتصالِ نفسه.

2. رجعُ صدى قويٌّ وفعالٌ.

3. التصورُ الكمالي للمتلقي.

4. تقديمٌ تفاؤليٌ للذات "2".

من مضامين قنوات التواصل الرقمي:

تعملُ قنواتُ التواصلِ الرقميّ على إنتاجِ المعرفةِ وتسويقها، بحيثُ تصبحُ مصدراً اقتصادياً للقوى المسيطرةِ على وسائلِ التواصلِ الرقميّ الذي تستخدم التواصل والحوار الرقمي للتأثير في اتجاهات الرأي العام.

كما تعمل على إنتاج مجتمع المعرفة.

وظهور الإعلام الجديد أو البديل الذي غيّر معالم الحياة، وأصبح القوة المسطرة على حساب الصحافة التقليدية.

ويكتسبُ الإعلام الرقميّ الجديد أهميته من قدرته على منح الأفراد أدوات عصرية لفرض ذواتهم وبناء هوياتهم وتأكيد تمايزهم عن الآخرين"3".

ضرورة تفعيل مواقع الحوار:

تنتشرُ عشرات المواقع الالكترونية المعنية بحوار الثقافات، والمؤمل أن تكون هذه المواقع منتديات لنشر ثقافة الحوار وتعزيز قيم التسامح وقبول الآخر باعتباره نظيراً لنا في الإنسانية.

ورغم الدور الهام الذي تلعبه هذه المواقع في الحوار مع الآخر إلاّ أنها تعاني من بعض جوانب الخلل في

عملها، ومن هذه الجوانب نذكر على سبيل المثال لا الحصر الجوانب الآتية:

1. تفتقرُ بعضها إلى خبراء أكفاء في قضايا الحوار وديناميّاته وأساليبه.

2. تعتمدُ بعضها لغةً حواريةً تقليديةً تضرُ بالحوار أكثر مما تفيده.

3. تفتقرُ إلى خطط حوارية مبرمجة تقيم قنوات حوار تفاعلية متواصلة مع الآخر سواء أكان فرداً... أم مؤسساتٍ حوارية غربية، كما تفتقر إلى عنصريّ الديمومة والاستمرار حتى الحصول على النتائج المرجوة من الحوار.

4. معظم هذه المواقع باللغة العربية وبالتالي تضعف النتائج المرجوة من الحوار لأنَّ الطرف الآخر الذي

نحاوره يتكلم اللغات الإنكليزية أو الفرنسية أو الإيطالية الإسبانية ولا يجيد اللغة العربية.

5. ضرورة دعم الحكومات والمؤسسات الثقافية المعنية بحوار الثقافات لمواقع الحوار الالكترونية مادياً ومعنوياً بما يمكّنُها من أداء رسالتها الحوارية وعقد مؤتمرات الحوار ونشر الدوريات والكتب الخاصة بحوار الثقافات.... إلخ.

.....

مستقبلُ الحوارِ الرقميّ:

إذا علمنا أنّ حجمَ السوق العالمية للمعلوماتية تجاوز مع بداية العقد الثاني من الألفية الثالثة الثلاثة ترليونات دولار ندرك أنّ المعرفة أصبحت مورداً اقتصادياً يفوق بأهميته الموارد الاقتصادية الأخرى، وندرك أيضاً أنَّ التفاعل مع الآخر بصورة

غير مباشرة يشكل المضمون الأساسي للحوار الرقميّ من خلال الإعلام البديل الذي تلعب فيه شبكات التواصل الاجتماعي دور الفاعل والمؤثر، ومن بينها (فيس بوك) في بلورةِ الوعي المعاصر بأهمية التواصل الإنساني والحوار بين الثقافات المختلفة"4".

وكذلك تلعب " الشبكات الاجتماعية" دوراً في الأزمات السياسية بين الدول بحيث شكّلت عاملَ ضغطٍ على الحكومات، فالمواطن في عصرنا الراهن باتَ عنصراً هاماً في الحوار والتفاعل مع الآخر ذلك أنَّ هاتفه الجوال يشتمل على الصور والمعلومات الهامة للأحداث المحلية والعالمية.

فقد أصبحت الشبكات الاجتماعية مؤسسات إعلامية كبرى، مثل ال CNN وال BBC.

وهكذا فتحت الثورة الرقمية من خلال وسائلها المختلفة كالانترنيت وشبكات التواصل الاجتماعي والمدونات الشّخصية والأجهزة المحمولة والهواتف الذكيّة وسواها آفاقاً جديدة للحِوار بين الثقافات وجعلت الحِوار في متناول الجميع انطلاقاً من الحِوار الشّخصي إلى الحِوار الثقافي.

****

الهوامشُ والمراجعُ:

1. الدكتور تركي صقر، الحوار الرقمي بين الثقافات، مجلة المعرفة، العدد588، أيلول 2012م، ص 220.218.

2. المصدر السابق نفسه.

3. محمد الحسن، نحو آفاق جديدة للحوار، مجلة الحياة الجديدة، العدد 15، سبتمبر 1997، ص 114.

4. عبد القادر أحمد، عالم الأنترنيت ومجالاته، مجلة اليمامة، الرياض 2003، العدد1815،ص 25.

****

الفصل الثاني

الشَّرق العربي والغرب

((المؤثرات الثقافية العربية في نهضة الغرب))

الفصل الثاني

الشَّرق العربي والغرب

((المؤثرات الثقافية العربية في نهضة الغرب))

موضوع المثاقفة بين الحَضارات يحيلنا إلى موضوع العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب الذي شغل ولايزال اهتمام الباحث التاريخي والباحث الصحفي في مجال الدراسات الحضارية والمستقبلية، ذلك أنّ فهم التأثيرات الثقافية المتبادلة بين الحضارات يشكلُ الانطلاقةَ الصحيحةَ لأيّ برامج حوارية هادفة تقوم على فهم الآخر والاعتراف بحضوره الإنساني والثقافي، وبالتالي تكون مخرجات العملية الحوارية أكثر إيجابية وفاعلية.

لقد ظلّتْ الحضارة العربية الإسلامية تسيطر على مشارق الأرض ومغاربها لأكثر من خمسة قرون،

كانت فيها حاملة لواء الحضارة الإنسانية عبر العصور. ومازالت آثار الحضارة العربية في مختلف المجالات ماثلة في الحضارات الأخرى حيث أثَّرت فيها، وسنحاول استجلاء تأثيرات الحضارة العربية الإسلامية ودورها الكبير في النهضة الأوروبية الحديثة.

لمحة تاريخية عن العلاقات الثقافية بين العرب والغرب

بدأت بواكير هذه العلاقة الثقافية بين العرب والغرب بعد قيام الدولة العربية الإسلامية، حيث بدأت الحياة الفكرية والثقافية العربيتين الإسلاميتين تشهد نمواً حضارياً مطرداً في مقابل ركود ثقافي مزمن في الدولة البيزنطية امتد حتى نهاية القرون الوسطى.

" لقد برع المسلمون في شتى مناحي الحياة الثقافية والفكرية وتفوقوا على الغربيين الذين ظلّوا على تبعيتهم الثقافية لليونان والرومان والعرب" 1".

والثقافة الإسلامية أو الحضارة الإسلامية هي " ما وضعه الإسلام من قيمٍ روحيةٍ بعد بناء القيم المادية التي يتم الاعتماد عليها في بناءِ كلِّ حضارةٍ متمثلةٍ في الدين والعقيدة والعادات والتقاليد والأخلاق ونظم الحياة الفردية والجماعية، وكلّ ما ابتكره الإنسان في المجتمع الواحد المتحضر في دين واحد ولغة واحدة "2".

وينبغي الإشارة إلى أنَّ ما أخذه الغرب من علوم عن المسلمين والرومان هو نابعٌ من الحضارة اليونانية. فالعرب والرومان في العلوم ورثة اليونان بلا واسطة "3"، بينما لم يستقِ الغرب من العلوم اليونانية إلاّ عن طريق المسلمين.

" لقد بنى المسلمون القدامى مجداً علمياً في شتى الميادين الفكرية والصناعية"4". مازال يعتمد بعضه في الغرب إلى يومنا هذا. وقد استحق بذلك الصورة المشرّفة للعرب والمسلمين القدامى، وقد شهد لذلك بعض علماء الغرب الذين تعمّقوا في دراسة الحضارات القديمة. كذلك ينبغي التأكيد على أنَّ الحضارة العالمية التي نشاهد إنجازاتها العملاقة اليوم ليست من صنع الغرب وحده كما اعتقد البعض، وإنّما هي ثمرة جهود ثقافات متلاحقة لعصور قديمة ووسيطة وحديثة. وسنقدّم فيما يلي أهم تأثيرات الثقافة العربية في النهضة الأوربية.

المؤثراتُ الثقافيةُ العربيةُ في النهضةِ الغربيةِ في عيونِ علماءِ الغربْ:

يقولُ الباحثُ ت. كولر يونغ ": إنّ الدَّين الثقافي العظيم الذي ندين به للإسلام منذ أن كنا نحن المسيحيين خلال هذه الألف سنة، نسافر إلى العواصم الإسلامية وإلى المعلمين المسلمين ندرس عليهم الفنون والعلوم وفلسفة الحياة الإنسانية، ولن نتجاوز حدود العدالة إذا نحن تناسينا شروط التبادل وأدينا ما علينا بربحه في حب واعتراف بالجميل". لقد قامت الثقافة العربية الإسلامية بدورها الرائد على أكمل وجه، فساهمت مساهمة فاعلة في بناء النهضة الثقافية والعلمية العالمية، وقد نقل العلماء العرب والمسلمون التراث الإغريقي وغيره من ألوان التراث العلميّ الذي تقدم عليهم في التاريخ إلى اللغة العربية التي كانت علم وثقافة، وأثَّر العلماء العرب والمسلمون في النهضة الأوربية، وكان طابع الثقافة العربية الإسلامية غالباً وواضحاً ومؤثراً في الكثير من

المجالات العلمية والفكرية والثقافية، مثل ابتكار نظام الترقيم والصفر والنظام العشري، ونظرية التطور قبل " دارون" بمئات السنين، والدورة الدموية الصغرى قبل " هارفي" بأربعة قرون، والجاذبية والعلاقة بين الثقل والسرعة والمسافة قبل " نيوتن " بقرون عديدة، وقياس سرعة الضوء وتقدير زوايا الانعكاس والانكسار، وتقدير محيط الأرض، وتحديد أبعاد الأجرام السماوية، وابتكار الآلات الفلكية، واكتشاف أعالي البحار، ووضع أسس علم الكيمياء. ولم تقتصر حركة النقل من الثقافة العربية الإسلامية التي أخرجت أوروبا من عصورها المتوسطة المظلمة إلى عصورها الحديثة المتنورة ـ على نقل المعارف القديمة من يونانية وهندية وبابلية ومصرية، من كتب باللغة العربية إلى اللغة اللاتينية فقط، بل أنّ أوربا المسيحية قد نقلت أيضاً معارف عربية خالصة، كما نقلت أنماطاً

من الحضارة الإسلامية ومن الإيمان الإسلامي إلى حياتها العامة والخاصة. لقد نهل علماء أوربا من المصادر العربية الأصيلة، ووجدوا أنها تراثٌ علميٌّ عظيم، فاشتغلوا بدراسته وتحليله. لقد كان العلماء العرب رواد المناهج العلمية الحديثة بكلِّ أدواتها التجريبية والاستقرائية. يقول المفكر روجيه غارودي في كتابه القيم " من أجل حوار بين الحضارات ": "ندين إلى العلم العربي بأهم كلياتنا في الطب، كانت موبيليه الأولى.

فحتى القرن السادس عشر في فرنسا وحتى منتصف القرن التاسع عشر في إنجلترا كانت تطبع وتدرّس أبحاث الطب العربية، مقالات الرازي الشهيرة. وكان العرب يمارسون منذ القرن الثامن الكشف عن عدسة العين بالرشف بواسطة إبرة مفرغة. كذلك ندين لهم بعلم الجبر، فقد نجح

الشاعر عمر الخيام الذي عاش في حوالي العام 1100، في حل معادلات من الدرجة الثالثة باتباعه نفس الطريقة التي سوف يستعملها ديكارت بعد خمسة قرون طارحاً على هذا النحو أسس الهندسة التحليلية"5".

إنّ قوة الثقافة العربية الإسلامية وازدهار العلوم والفلسفة والفنون العربية جعلت كاتباً فرنسياً كبيراً

كـ" أناتول فرانس " يأسف في كتابه " الحياة المزدهرة " لعدم انتصار العرب المسلمين على الفرنسيين في معركة بواتييه عام 732، ويقول:" إنّ ذلك اليوم هو اليوم الأكثر شؤماً في تاريخ فرنسا حيث تراجع العلم والفنّ والحضارة العربية أمام البرابرة الفرنجة"6".

وشرح الكاتب " بلاسكو إبانيز " في كتابه " في ظلِّ الكاتدرائية " أنّ " إحياء اسبانيا لم يأتِ من

الشمال، مع الأقوام الرّحل البربرية ولكن من الجنوب مع العرب الفاتحين"7".

ويقول مؤلف كتاب " عبقرية الحضارة العربية: "ينبوع النهضة": أمّا النهضة، فإنّ الغرب يدينُ بجزءٍ كبيرٍ منها للفتح العربي الذي عرف كيف يخلق الظروف الفكرية للفتح"8".

ويقول "روجيه غارودي ": في مطلع القرن التاسع عندما كانت أوربا لاتعرف القراءة افتتح الخليفة المأمون في بغداد، بمؤازرة أفواج من الكتبة والمترجمين، مكتبة هائلة : بيت الحكمة، حيث كانت تحفظ جميع المؤلفات الكبرى من الحضارات القديمة، وفي قرطبة كان أحد الخلفاء الأمويين، وهو الحكم يملك مكتبة كبيرة تحتوي على أكثر من مائةِ ألفِ مجلدٍ في حين أنَّ ملك فرنسا شارل الخامس لم يكن يملك بعده بأربعة قرون سوى ألف كتاب، إنَّ

اكتشافات العرب العظيمة مرتبطة بنظامهم الاقتصادي نفسه، فهم وهم يبنون إمبراطورية تجارية طوّروا معها التقنيات والعلوم التي قفزت بدافع منهم إلى الأمام.

لقد كانوا وهم يمخرون البحار ويجتازون الصحاري بحاجة إلى أن يكونوا على علم تام بالجغرافية الفلكية، فبنوا المراصد الفلكية الكبرى الأولى في العالم، في سمرقند ودمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة. وأعاد العرب في عام 770اختراع الاسطرلاب الذي تخيله بطليموس، وسوف يستخدمه البحارة حتى القرن الثامن عشر. إنّ الجغرافيين والفلكيين العرب المكلّفين بوضع خرائط ضرورية لإدارة إمبراطوريتهم أدخلوا في اعتبارهم كروية الأرض التي أنكرها علماء اللاهوت في المسيحية. وفي القرن

الثاني عشر انطلقت خرائط الإدريسي كذلك من مبدأ كروية الأرض"9".

ويتابع المفكر " روجيه غارودي " في كتابه القيّم " من أجل حوار بين الحضارات " مبرزاً بموضوعية العالم الدور الكبير للحضارة العربية الإسلامية وأسبقيتها التاريخية وفضلها على الغرب في المجالات العلمية والثقافية والفكرية قائلاً: لقد كان لي الحظ أن زرت مرصد سمرقند الذي لم يخطئ إلاّ بأربعة عشر ثانية فقط في تقدير السنة الشمسية. هذه الارتقاءات العلمية النظرية أعطت المسلمين تفوقاً بحرياً لا يجارى فيه، وقد سّجل ابن خلدون أنَّ " المسيحيين لم يكونوا قط قادرين على أن يجعلوا لوحاً من الخشب يعوم على سطح البحر الأبيض المتوسط.

إنّ استكشافات ماركو بولو سحرت الغرب، والواقع أنَّ مؤلفاً عربياً روى في عام 831 قبل ماركو بولو بأربعمائة وخمسة وعشرين عاماً، أخبار رحلة إلى الصين وصل في أثنائها إلى كانتون ولا شك حتى إلى كوريا واليابان. وهنالك مسلم اسمه (أحمد بن ماجد) في الزمن نفسه تقريباً وضع بحثاً عن الملاحة في المحيط الهادي والبحر الأحمر والخليج العربي وبحر الصين، سوف يستغله البرتغاليون أساساً لدراساتهم البحرية في عصر هنري الملاّح الذي يمثل بالنسبة لنا نحن الأوربيين، قمة فنّ الملاحة.

وفكر أحد الخلفاء بشق برزخ السويس لكن أسباباً استراتيجة منعته. وقلبَ العرب علم الحساب رأساً على عقب، فابتكروا الأرقام العربية والصفر الذي يرتكز عليه نظاماً المتري، ولم تعرف أوربا تأثير هذه

الثورة الحقيقة إلاّ في القرن الثاني عشر بعد مائتي وثلاثين سنة من التأخر.

وفي ميدان علم الكيمياء ندين للعرب. منذ أيام هارون الرشيد الذي عاصر شارلمان كان العرب يصنعون الورق من القطن متيحين بذلك نشر الثقافة على نطاق واسع. وفي الطب عمل العرب على استكمال التلقيح بالجدري البشري الذي مارسه الأطباء الهنود والإيرانيين، وذلك حوالي عام 900، على حين أنَّ الغرب ظل ينتظر حتى عام 1797 ليتخيل الطريقة مع جنير. وكذلك يدين لهم طب العيون بالشيء الكثير. أما فيما يتعلق بالصيدلة، فإنّ العرب كانوا يستخدمون عفونة البنسلين (أنواع من الفطور) كمرهم لمعالجة الجروح الملتهبة. كانوا يعرفون إذن سلطة المضاد الحيوي للميكروبات العضوية. وفي مجال العلوم الإنسانية

يظلُّ "ابن خلدون " الدبلوماسي والقائد الحربي والمؤرخ وعالم الاجتماع والفليسوف والفنان الذي عاش سنة 1332 إلى 1406 شخصية عالمية في ميدان العلوم الإنسانية ذلك أنه كان يحاول اكتشاف قوانين التطور التاريخي، حيث قدّم تصوراً علمياً للتاريخ وعلم الاجتماع، جعله من رواد المادية التاريخية. كما وضع خطوط نظرية القيمة المبنية على العمل. إنَّ عالماً بشمول " ابن خلدون "لا يمكن أن يولد في الفراغ : إننا لنتخيل ونحن نقرأه مدى ما بلغه تطور الفكر العربي في أيامه في ميدان العلوم الاجتماعية" 10". وكرّس الكاتب " ول ديورانت "كتابه السِّفر الضخم " شمس العرب تسطع على الغرب " للحديث عن المنجزات العلمية والثقافية الكبرى للحضارة العربية الإسلامية وتأثيرها المباشر في النهضة الأوربية الحديثة. ومما قاله في شأن المكتبات العربية في سنة

ألف للميلاد:" لقد نشر ابن النديم تاجر الكتب في بغداد بالأمس القريب فهرساً للعلوم يضم في عشرة مجلّدات، أسماء جميع الكتب التي صدرت باللغة العربية في الفلسفة والفلك والطبيعيات والكيمياء والطب حتى ذلك الحين.

وفي الأندلس تجتذب قرطبة طلاب العلم من كلِّ أنحاء الشرق بل والغرب أيضاً. تجذبهم بمدارسها العليا ومكتبتها العظيمة التي تضم نصف مليون من الكتب القيّمة والتي أسسها الخليفة الحكم الثاني وهو من أشهر علماء عصره. وفي القاهرة رتّب مئات العمال والفنيين في مكتبتي الخليفة مليونين ومئتين من المجلدات، وهو يعادل عشرين ضعف ما حوته مكتبة الإسكندرية في عصرها. وقد قال جربرت فون أورياك الذي ارتقى كرسي البابوية في رومة عام 999باسم البابا سلفستروس الثاني " إنه

لمن المعلوم أنه ليس أحد في روما له من المعرفة ما يؤهله لأن يعمل بواباً لتلك المكتبة، وأنّى لنا أن نعلّم الناس ونحن في حاجة لمن يعلمنا. إنَّ فاقد الشيء لا يعطيه "11".

استلهام الغربيين منجزات العرب المسلمين

فضلُ المسلمين في تكوين المعارف العلمية في أوروبا كان يسير جنباً إلى جنب مع تأثيرهم في تكوين العلوم النظرية، وتتوسع الدِّكتورة " إيناس حسين " في رصد أهم الاستلهامات الغربية من منجزات العرب المسلمين ابتداءّ بالحديث عن أثرهم في الصناعة فتقول:" إنّ المسلمين هم الذين صنعوا الصابون للمرة الأولى، وكانوا يعملون منه صنفين، صنف من الصودا، وصنف آخر أبيض اللون من البوتاس، وقد ذكره ابن دريد سنة 933م.
والمسلمون هم الذين أدخلوا السكر المصنوع من

القصب إلى أوربا وكذلك الورق. وكذلك برع المسلمون في كثير من الصناعات القائمة على الكيمياء، فاستخرجوا الذهب بطريقة الغسل، وقطروا الزئبق من الزنجفر، واستخلصوا العطور بطريقة تقطير الورد، وصنعوا مختلف أنواع الحبر، وأنتجوا مختلف الألوان والأصباغ، وهم أول من عرفوا القهوة في التاريخ. وإذا انتقلنا من الصناعة إلى الزراعة رأينا للمسلمين أبحاثاً عظيمة في هذا الميدان خصوصاً في الأندلس، ويتناول هذا الميدان الفلاحة ثم النباتات الطبية ومن أشهر من ألف في هذين الميدانين: يحيى بن محمد بن العوام، وابن الخير الإشبيلي والحاج الغرناطي، وأبو جعفر الغافقي، وابن البيطار. ومن هنا نجد في اللغة الإسبانية عدداً ضخماً من الألفاظ العربية المتعلقة بالنباتات، وكان لكتب المسلمين في الفلاحة والنباتات أثر هائل في تقدم الزراعة في أوربا.

وكذلك أثَّر العرب المسلمون في الفنّ المعماري الأوربي، وبشكل منقطع النظير، ولاتزال الآثار العظيمة ماثلة في الأندلس، بل وفي سائر اسبانيا وجنوبي فرنسا تشهد بما بلغه الفنّ الإسلامي في العمارة من مكانة سامية في أوربا. ولقد بقي المسلمون هم كبار المعماريين حتى بعد سقوط دولتهم في إسبانيا. وانتقل تأثير الفنّ إلى إيطاليا، فتأثر به فنانو مدرسة توسكانيا، في فلورنسا وبيزا وسيينا ولوكا، ومنذ القرن الثاني عشر ونحن نجد في إيطاليا، خصوصاً إقليم توسكانيا، صحائف النحاس المشغولة في الموصل، وصناديق العاج العربية والسجاجيد العجمية، والمخطوطات المزينة بالمصفرات، والنحاس الدمشقي، الزجاج والأواني الدمشقية. وانتشرت الأقمشة الإسلامية انتشاراً واسعاً في إيطاليا ثم انتقلت إلى أوربا. والمسلمون كذلك هم الذين أدخلوا إلى أوربا كثيراً من

الألعاب كالشطرنج، ولعبة البولو التي هي أصل لعبة كرة القدم"12".

تأثيرُ الفنون الإسلامية في النهضة الأوروبية

أثرت الفنون الإسلامية تأثيراً واضحاً في فنون النهضة الأوروبية في مجالات عديدة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

التحف الفنية

" انتقلت التحف الإسلامية وتقليد الفنون والصناعات الإسلامية إلى أوربا على يد الحجاج الأوروبيين الذين كانوا يسافرون للحج إلى البيت المقدس، ولاتزال بعض الكنائس الأوروبية تحتفظ بتحف إسلامية من المعدن والبلور الصخري والزجاج والعاج، وتنظر إليها باعتبارها تراثاً مسيحياً مقدساً "13".

اهتمامُ الملوك والأمراء في أوروبا بالفنون الإسلامية

لقد أهتم كثير من الملوك والأمراء في أوربا بالفنون الإسلامية، ومنهم الإمبراطور فريدريك الثاني حفيد روجر الثاني الذي أولى اهتمامه بالثقافة العربية حينما تولى حكم مملكة صقلية، وبفضل الثقافة العربية صارت صقلية في عهده القطر الوحيد في إيطاليا بل في أوربا كلها الذي وجدت فيه مبادئ إحياء التراث الكلاسيكي ونزعته وأساليب البحث العلمي الحديث، وقد صارت هذه المبادئ فيما بعد من الدعائم الأساسية في النهضة الأوروبية"14".

وكذلك كانت الثقافة الأندلسية العربية مركز إشعاع حضاريّ وثقافي وفني في أوربا.

تأثير العرب في الفنون والعمارة

"كان للعرب تأثير مهم في أجزاء كثيرة من أوروبا لم يحتلوها، فنرى الفنّ والعمارة مطبقين في المباني والكنائس المسيحية على شكل تزيينات، هذا بالإضافة إلى أنّ أكثر الأبنية أنشأها معماريون عرب، وأهمها ما كان في كاتالونيا، حيث نرى المحارب والأقواس من الحديد، وحيث الأطناف محمولة على عوارض، والنحت المطرز في تاج الأعمدة والفسيفساء التي تعلو قمريات الأبواب. وإن كان تأثير العرب واضحاً في البلاد التي لم يدخلوها، فإنّ الأمر يبدو أكثر وضوحاً في الباد التي سيطروا عليها مثل إسبانيا وإيطاليا، أما بخصوص إسبانيا التي حكمها العرب ما يقرب من ثمانية قرون، فقد حفلت بتأثيرات لا يمكن إغفالها في اللغة والعادات والفنّ. وما زالت الآثار شاهدة هنالك على عظمة الحضارة العربية الأندلسية التي

وصلت إلى حد الإعجاز، خصوصاً في بناء جامع قرطبة وقصر إشبيليا وقصر الحمراء في غرناطة.

ولم تكن أبراج الكنائس في طليطلة إلاّ نسخاً عن المآذن، أما العمارات التي بناها المسيحيون في المناطق المستقلة في أثناء الحكم الإسلامي، فقد كانت عربية أكثر منها مسيحية، وذلك مثل " قصر سيقونيا " الذي يشابه قصر طليطلة، والواقع أنّ أكثر المدن الإسبانية اليوم، خصوصاً إشبيلية، فالمنازل فيها مازالت تبنى وفق الأسلوب العربي مع فارق بسيط هو أنّ زخارفها أقل، وكذلك كانت صقلية محكومة منذ العام 827م وحتى 1091م من قبل العرب، وكان تأثير العرب خلال هذه الفترة واضحاً فليس لصقلية أن تنسى ما قام به " الأمير الحسن علي الكلبيّ "، فلقد ذكر ابن حوقل " أن باليرمو العاصمة كانت تحتوي في زمن الحسن

ثلاثمائة مسجد وثلاثمائة مدرسة، ومع أنّ النورمانديين حلوا محل العرب بعد العام 1091فإنّ الحضارة العربية بقيت هي السائدة. لقد أوحى الصناع المسلمون إلى صنّاع الغرب طريقة جديدة في زخرفة جلود الكتب وذلك من خلال التذهيب المثبت تثبيتاً قوياً بضغط الآلات المحماة على صفائح الذهب."15".

أثر الخط العربي في الفنون الأوروبية

استرعى الخط العربي انتباه الفنانين الأوروبيين الذين وجدوا في الحروف العربية كثيراً من الصفات الزخرفية والشكلية والجمالية، ما جعلهم يقبلون على استخدام الخط العربي في زخرفة تحفهم ومبانيهم وآثارهم المختلفة، وقد بلغ من إعجاب الأوروبيين بالكتابة العربية أنهم نقلوا بعض العبارات في كثير من الأحيان نقلاً صادقاً من دون أن يعرفوا

ما تحمله تلك العبارات من المعاني. وقد شاعت الزخرفية بالخطِ العربيّ على المنسوجات الحريرية التي صنعت في أوربا، والتي كانت تستخدم لحفظ مخلفات القديسين. ونتيجة لازدهار التجارة بين العالم العربي وأوربا أن أقبلت المدن الإيطالية على استخدام الكتابة العربية على عملاتها، فقد صك أهل البندقية عملات ذهبية تقليداً للعملة العربية اشتملت على آيات قرآنية وعبارات دعائية.
وظهرت الزخرفة بالحروف والكتابة العربية في منحوتات وروسومات عشرات الفنانين الإيطاليين "16".

فنونُ القتال والتقاليد العربية

استفاد الأوروبيون من العرب المسلمين في مرحلة الحروب الصليبية. فنون القتال وطرائقه وأساليبه وأدواته وتقاليده، حيث استفادوا " من استخدام

طريقة التلغيم وحفر الخنادق واستخدام بعض الوسائد والثياب القطنية الواقعة تحت الزرد، وكذلك استخدام الدرع لحماية الفارس وجواده، واستخدام الكوفية لوقاية رأسه وعنقه من حرارة الشمس واستخدام الحمام الزاجل لنقل البريد، ومناورات الكرّ والفرِ والطعن والضرب، وأيضاً استفاد الأوربيون من بعض التقاليد الحربية الإسلامية، ومنها كثرة استخدام البيارق والرايات الحربية التي تشتمل على صورة منقولة عن الشرق مثل النسر ذي الرأسين، وزهرة الزنبق والمفتاحين أو عصا البولو، وكذلك استعمال الرنوك، وانتشارها وكذلك الدروع والشارات، وكذلك إقامة احتفالات بمناسبة الانتصارات العسكرية عن طريق التنويرات ونشر السجاجيد الملونة على الجدران والنوافذ كما كان يعمل العرب المنتصرون"17".

ونكتفي بهذا القدر من جوانب تأثيرات الثقافة العربية في الحضارة الأوروبية، ورأينا آثارها الكبيرة والعميقة والطويلة المدى في كلِّ ما يتصل بالصناعة والزراعة والبناء والفنون والعلوم ومظاهر الحياة اليومية. وما يهمنا في وقتنا الرّاهن هو أن ننجح في توظيف هذه التأثيرات الكبرى والمثاقفة المتواصلة في حوارنا الثقافي الذي ينبغي أن يكون متواصلاً وفعالاً مع العالم العربي خدمةً لمصالحنا المشتركة ونبذاً للعنف والتطرف وصنعاً للتنمية والتطور والسلام.

****

الهوامش والمراجع:

(1) محجوب بن ميلاد، مكانة توفيق الحكيم في الأدب العربي الحديث، مجلة المباحث، عدد سبتمبر 1944، ص 12.

(2) بدر الدين الهمّادي، العلاقة الثقافية بين الشرق والغرب، مؤسسة سعيدان، تونس 1996، ص 11.

(3) أحمد رضا بك، الغرب والشرق، مطبعة النهضة، تونس، ص 135.

(4) ـ زكريا هاشم زكريا، فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم، دار النهضة مصر للطبع، القاهرة 1970، ص 233.

(5) ـ روجيه غارودي، من أجل حوار بين الحضارات، ترجمة ذوقان قرقوط، دار النفائس، بيروت 1999م، ص 84.

(6) _ المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(7) _ المرجع السابق نفسه، ص 87.

(8) _ عبقرية الحضارة العربية: ينبوع النهضة، طبعة فايدن، أكسفورد 1976، ص 32.

(9) _ روجيه غارودي، من أجل حوار بين الحضارات، مرجع سابق، ص 88.

(10) _ المرجع السابق نفسه، الصفحات 88، 89، 90، 91، باختصار.

(11) _ ول ديو رانت، شمس العرب تستطع على الغرب، القسم الثاني، ص 354.

(12) _ الدكتورة إيناس حسين، التلامس الحضاري الإسلامي _ الأوروبي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 366، أغسطس 2009، ص 48_49.

(13) _ حسن الباشا، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، المجلد الثالث، القاهرة 1999، ص 55.

(14) المرجع السابق نفسه، ص 56.

(15) المرجع الثاني عشر، ص 56_60باختصار.

(16) المصدر السابق نفسه، ص 64.

(17) المرجع الثالث عشر، ص 57 .

****

الفصل الثالث
دَور المُشْتَرَكات الثقافيّة في تفعيل الحِوار العربي مع الغرب

الفصل الثالث

دَور المُشْتَرَكات الثقافيّة
في تفعيل الحِوار العربي مع الغرب

تلعبُ المشتركات الثقافيّة بين الشّعوب دَوراً هَاماً في التواصل الحَضَاري وتفعيل آليَّات الحِوَار وتطوير وسائله وأساليبه.

ولذلك يجب بتفعيل المُشْتَرَكات الثقافيّة والأدبيّة بين الأدبين العربيِّ والغربيّ، من خلال ميادين الحِوَار المختلفة، ومنها المؤسسات الثقافية عبر نشاطاتها العديدة: (مؤتمرات وندوات – ترجمة – محاضرات .. الخ).

ومن أبرز القضايا الثقافية المشتركة بين الثقافة العربيّة والثقافة الغربيّة:

1–تأثر الأدَب الغربي بحكاية " ألف ليلة وليلة " ولا سيما الأديب الألماني " فلهالم هاوف".

2–تأثر أغاني التروبادور بالموشحات الأندلسيّة.

3–تناول الأدب الإسباني لموضوعات عربية في القرون التي تلت سقوط غرناطة حتى القرن التاسع عشر.

4–الأثر الأدبي الغَربيّ ممثَّلاً بمجموعة من الشُّعراء منهم: ت.س. إيليوت، وآرثر رامبو، وشارل بودلير، ولامارتين، وفرلين، وغوته، وأندريه جيد، وسان جون بيرس، وبول فاليري، ولوتريامون، وايف بونفوا، وسواهم على رواد قصيديّ التفعيلة والنثر على حدٍّ سواء، كبدر شاكر السياب، ونازك الملائكة، بالنسبة لقصيدة التفعيلة، ومحمَّد الماغوط، وأدونيس، ويوسف الخال، ومحمود السيد، بالنسبة لقصيدة النثر.

5–القضايا الأدبية المقَارنيّة المشتركة بين " عطيل " شكسبير وديك الجنّ الحمصي.

6–صور كثيرة من التشابه بين الحكايات الشَّعبيّة العربية والحكايات الشَّعبيّة اليونانيّة.

7–تأثير " دانتي " في الأسطورة العربية.

8–أثر الأدب الفرنسي على الآداب العربية المغاربية وبخاصة الأدب الجزائري الحديث.

9–الدِّراسات الغربية المتعددة للأدب العربي.

10–أثر " مقامات الحريري " في شعر الشَّاعر الألماني فريدريك ريكرت (1788 –1866).

11–أثر " القرآن الكريم " و " السِّيرة النَّبويّة " في شعر بوشكين.

12–أثر فلسفة " ابن رشد " على الفلسفة الغربية.

13–أثر " قصة حي بن يقظان " لابن طفيل على الآدَاب الغربية.

لقد تمت عمليّة الإخصاب بين الفكر العربي والفكر الغربي عبر مراحل التاريخ المختلفة، حيث كان التبادل الثقافي مستمراً بلا انقطاع. وما أخذته أوروبا عن العرب، في كافة العلوم والصناعات، والفلسفة، والأدَب كان له الدور الأهم في النَّهضة الغربية المعاصرة.

لقد دفعت فلسفةُ " ابن رشد " – على سبيل المثال لا الحصر – الغرب إلى اعتبار التجربة مصدراً للمعرفة.

إنَّ المشتَرَكَ الحَضَاري والثقافي بين العرب والغرب أكبر وأعظم من عوامل الافتراق والاختلاف.

لقد زحفَ أبناء العرب إلى الغَرب للتعلّم في جَامعاتها، كما زحفَ الغرب إلى بلاد العرب من خلال الاستشراق، فكان التمازج والتلاقي والتلاقح.

إنّ التعـايش والتفاعـل والتواصـل بـين العـرب والغرب، وفي كافة المجالات، ليسَ ضرباً من ضروب الخيـال، بـل هـو حقيقـة ثقافيـة وتاريخيّـة وجغرافيّـة راسخة منذ أقدم العصور.

دَور الأدَب المُقَارَن

يلعـبُ الأدَب المُقَـارن دَوراً بالـغ الأهميـة في تعـارف الثقافـات وتواصـلها وتفاعلهـا، مـن خـلال دوره المحوري كعنصرِ جمعٍ والتقاءٍ ودرسٍ وتحليلٍ وترجمةٍ للآدابِ المختلفة.

إنَّ مـا يمكـن أن يقـوم بـه الأدب المقـارن (تأليفـاً ودَرْسَـاً وترجمة)، وعَبْرَ عَقْدِ المؤتمرات الدّوليّة لهذا الغرض يفوق الوصفَ في حِوَارِ الثقافات بينَ أبناءِ الحضـاراتِ المختلفـةِ، وخاصـةً بـين أبنـاءِ الثقـافتين العربيّـة والغربيّـة، ومـن أجـلِ هـذه الغـايات الجليلـةِ تَنادى العرب لعقدِ مؤتمرهم المقَارن الأول في الفترة الواقعة بين 14–1983/5/19 في رحاب جامعة

عنابة بالجزائر، وقد حضرَ المؤتمر باحثون مختصون من عدة جامعات عربية وكذلك من جامعاتِ فرنسا وبريطانيا واسبانيا.

ثم تتالتْ بعدَ ذلك المؤتمراتُ العربيةُ المقارنة التي عَكَسَتْ أهميّة الأدبِ المقارن وضرورته في تفعيل حِوَار العرب الثقافي مع العالم بأسْرِهِ وفي مُقَدَّمَتِهِ العالم الغربي.

ومن خلال البحوث التي طُرِحَتْ في هذه المؤتمرات والنِّقاشاتِ التي دارتْ، فضلاً عن مشاركة الباحثين العرب في كافة الندوات الدّوليّة للأدَب المقَارن، خَطَا الحِوار الثقافي العربيّ مع الغرب خطوات هامة لا سبيل للتقليل من قيمتها، رغم وجود الكثير من الآمال والطموحات التي ما زالت تنتظرُ ولادتها من رحم هذا المشروع الثقافي الحِوَاريّ الهام.

ومن هذه الآمال والطموحات على سبيل المثال لا الحصر:

1–تفعيل عَمل الرابطة العربيّة للأدَب المقَارن في المجالات التالية:

أ–عقد المزيد من المؤتمرات والندوات بشكل دوري مرة في دولة عربيّة ومرة أخرى في دولة غربيّة. فعند عقد هذا المؤتمر في إسبانيا يجب أن يكون محور المؤتمر على سبيل المثال: (التأثيرات الثقافية المتبادلة بين الثقافتين العربية والإسبانية ودورها في دعم وتعزيز الحِوَار العربيّ –الغربيّ).

وعند عقد المؤتمر في اليونان يكون عنوانه على سبيل المثال: (القضايا المشتركة بين الحكايات الشَّعبيّة العربيّة واليونانيّة) لتسليط الضوء على القَضايا الثقافية المشتركة بين الثقافتين العربيّة والغربيّة.

ب–تأسيس مجلة بحث تابعة للرابطة تصدر باللغات العربيّة والفرنسيّة والإنكليزيّة والألمانيّة والإسبانيّة.

ت–إنشاء مركز عربي للأدَب المقَارن تابع للرابطة العربيّة للأدَب المقَارن في إحدى الدّول الغربيّة لغرض الوقوف على المشتركات الأدبية والثقافية بين الثقافتين العربية والغربية.

ث–إطلاق جائزة عربية عالمية للأدَب المقَارن بشكل سنوي أو كل ثلاث سنوات، ويمكن أن يكون من مواضيعها المفترضة: دراسة مقارنة في عطيل شكسبير وديك الجنّ الحمصي، أو أثر الموشّحات الأندلسيّة على أغاني التروبادور ... الخ

ج–تأسيس دار نَشرٍ عربيّةٍ عالميّةٍ لتشجيع نشر الأعمال المهمة في مجال الأدَب المقَارن لخدمة قضايا الحِوار الثقافي مع الغرب.

ح–تفعيل دور الترجمة وتشجيعها لنشر الأبحاث الهامة في الأدَب المقَارن، فضلاً عن الأعمال الأدبيّة الخالدة التي تحمل بصمات ثقافية مشتركة بين الثقافتين العربيّة والغربيّة.

خ–تفعيل الحضور العربيّ في كافة مؤتمرات الرابطة الدّولية للأدب المقَارن والمؤتمرات الدّوليّة الثقافيّة الأخرى.

2–ضرورة قيام الجَامعات العربيّة بتشجيع دراسة الأدَب المقَارن وتطوير دراساته من خلال:

أ–تشجيع تدريس الأدب المقارن في الجامعات العربية.

ب–تسهيل التعاون بين الجَامعات العربيّة من جهة والجامعات الغربيّة من جهة أخرى في حقل الدِّراسات المقارنة بين الأدبين العربيّ والغربيّ.

ت–تشجيع الرسائل الجامعية في هذا المجال.

3–تنفيذ المشروعات الثقافيّة العربيّة الغربيّة المشتركة في مجال الأدَب المقَارن وتوظيفها في خدمة حِوَار الثقافات كإعداد مسح ببليوغرافي للأعمال الأدبيّة العربيّة والغربيّة التي تحمل مُشتركات ثقافيّة،

ووضع برنامج لدراستها وتحليلها وطبعها ونَشرها وترجمتها وتوزيعها على أوسع نطاق.

دَور الثَّقَافَات المتوسطيّة

المثاقفة لفظة تحمل بطبيعتها معاني التبادل بين الأفراد والمجموعات، وتتخذ معنى التفاعل بين الثقافات.

((إنَّ الحديث عن المثاقفات المتوسطيّة لا يهم البحر المتوسط كبحر فحسب، وإنّما يمسّ كلّ ما يتصل بمكوناته الطّبيعيّة والدِّيمغرافيّة والجوانب الحيويّة الاقتصاديّة والسِّياسيّة. فيكون التلاقح والتواصل بين جماعاتٍ مختلفةِ الثقافات في كلِّ حقول الحياة بما فيها من مجالات ماديّة ومعنويّة وما وراءها من أبعاد حسّيّة وذِهنيّة.

وعلى أساس ذلك فإنَّ المثاقفة ترسم ذلك التبادل بين مكتسبات الشعوب التي تختزنها في تراثها

المنقـول والثابـت وتسـاهم بهـا في بنـاء الحضـارة الإنسانية بالمعنى الشامل.

والمتوسط مجال هذه التفاعلات، يمثل بدوره مادة ثريّة تسمحُ بتفجير عديد الأبعاد وبلورتها في أرقى نسب شحناتها المعرفيّة والعلميّة)).

ويمثـلُ تاريـخ حـوض البحـر المتوسـط مجـالاً خصـباً لإثْرَاء الحِوَار الثقافي بين العرب والغرب، كونه كان على الـدَّوام خارطـة طبيعيّـة حيّـة، وميـداناً عمليّـاً للتواصل والتثاقف والتحَاور بين شعوبه.

إنَّ الحِوَار الثقـافي والإعلامي على ضـفتي المتوسـط والسَّاعي إلى البحث عن المشترك الإنساني والثقافي بين العرب والغربيين ((يمكـن أن يؤدي، إلى تقليـل الفجوة في المواقف السياسيّة وخصوصاً تلك التي تتعلق بالصِّراع العربي – الإسرائيلي وقضايا الأمن والاستقرار والهجرة والإرهاب.

ومن شأن دفع الحِوَار الثقافي على ضفتي المتوسط أن يسهم في مزيد من تعرّف وفهم الغَربيين للمواقف والرغبات والحقوق العربيّة التي تَتماشى مع مبادئ القانون الدّولي عموماً والقانون الإنساني الدّولي خصوصاً)).

إنَّ الحوار عبر ضفتيّ المتوسط يجب أن يتواصل عبر كافة الأصعدة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتكنولوجيّة والثقافيّة والشبابيّة والإعلاميّة.

كما يجبُ العَمل على إيجاد إطار مُؤَسَّسي لتخطيط الحِوَار العربيّ – الغربيّ ضماناً لفاعليته وتواصله وديمومته ونجاحه، وصوناً لمكتسباته، وحفاظاً على منجزاته ونتائجه.

إنَّ الثَّرَاءَ الثقافي والمعرفي الذي يميّز الثقافتين العربيّة والغربيّة، إلى جانب قبول الآخر والانفتاح عليه والقبول بالتعدد الثقافي، من شأنه أن يُسهم

بمناقشة كافة القضايا آنفة الذكر، مناقشة موضوعيّة ذات رؤى فكريّة وثقافيّة مستقبليّة.

دور الترجمة

لا يمكن لحِوَارنا الثقافي والإعلامي مع الغرب أن يحقق أدنى عناصر النَّجاح إلاّ بقيام نشاط عربي نوعي فاعل في ميادين الترجمة من اللغة العربية إلى اللغات الغربية وبالعكس، وذلك لما للترجمة من أهمية استثنائيّة فائقة في عمليّة التواصل الثقافي والحضاري بين الشعوب والأمم.

يرى الباحث " أحمد خضر " وهو من المهتمين بحقل الترجمة في الكويت بأنَّ الترجمة ((تلعب دوراً أساسيّاً في المعرفة الإنسانيّة كأداةٍ هَامة للتواصل مع الثقافات الأخرى، وكناقل معرفي لمنجزات العصر المعرفيّة والثقافيّة والعلميّة والتكنولوجيّة)).

ولذلكَ يجب الانتباه إلى أهميةِ الترجمة كجسرٍ بين الثقافات، وضرورة التعاون مع المراكز العربية

للترجمة من أجل وضع خطة على المستوى العربي للترجمة والعمل على تفعيل المركز العربي للترجمة بالجزائر من أجل وضع خطة على المستوى العربي لترجمة ثقافتنا ونقل المنجز الغربي إلى لغتنا العربية.

كما يجب تشجيع المترجمين وَدعمهم ماديًّا ومعنويًّا، وكذلك المؤسسات الثقافية، ودُور النَّشر المعنيّة بعملية الترجمة.

تفعيل دور المشتركات الثقافية

في حوارنا الثقافي مع الغرب الذي يجب أن يكون شاملاً ومتكاملاً ينبغي ألاَّ تنعدم وسيلة ثقافية فاعلة إلاَّ واستخدمناها في تفعيل وتنشيط هذا الحوار، ومن ذلك قيام المشروعات الثقافيّة والإعلاميّة والتعليميّة المشتركة بين الدّول العربيّة والغربيّة لتفعيل الحِوَار الثَّقافي بين الطرفين وجعله أكثر انتشاراً وحضوراً وفاعلية، ونقترح:

1–إقامة مَرَاكز ثقافيّة مُشتركة تُكَرِّسُ معظمَ نشاطها الثقافي لخدمة الحِوَار وأهْدَافه وأسَاليبه وخطواته، وتعمل على نشر ثقافته وفكره وآدَابه وأخلاقياته من خلال:

أ–مُحَاضرات وندوات عن كيفيّة الحِوَار وأسَاليبه يُدعى لها أعلام الفكر العربي والغربي.

ب–مَعارض تشكيلية وفوتوغرافية.

3–عروض سينمائية مُنْصِفَة للحضارتين العربيّة والغربيّة تُرسي دعائم التفاهم والتسامح وتغرس بذور ثقافة الحِوار في النّفوس.

4–إقامة مَعَارض كتب مُشتركة لنشر ثقافة الحِوَار وقِيم التسامح وآليَّات التفاهم.

5–ترجمة الكُتُب والبحوث الحَديثة في الحِوَار وطبعها ونشرها على أوسع نطاق.

6–إقامة مُسَابَقات بحثيّة وأدبيّة عن ثقافة الحِوَار.

وكذلك لابدَّ من تفعيل التواصل الثَّقافي بين المدن العربيّة والغربيّة، تحقيقاً لمزيدٍ من التواصل الحضاري والإنساني والاجتماعي بين الثقافتين العربيّة والغربيّة، ومن ذلك المضي قُدُمَاً في مشروع حضاري فاعل للمؤاخاة بين المدن العربيّة والغربيّة.

لقد بُذِلَتْ جهودٌ متواضعة دون الطموح المرجو في هذا المجال، حيث عُقِدَ المؤتمر الأوروبيّ العربيّ الأول للمدن في مراكش في تشرين الأول من عام 1988م.

وَنَظراً لما لهذا المشروع الحَضَاري من أهميّةٍ فائقةٍ في تعريفِ كلٍّ الطرفين بثقافةِ الآخر، وبالتالي توفير كافة المعطيات والشروط الثقافيَّة والنَّفسيّة الموضوعيّة، ولكي يكون الحِوَار الحضاري أكثر فاعلية نقترح:

1-أن يُعقد المؤتمر الأوروبي العَربي للمُدن بشكل دوري.

2–أن يُعْلِنَ المؤتمرُ المؤاخاةَ بين مدينتين عربيّة وغربيّة في كلِّ عام، على أن يترافق ذلك مع نشاطات ثقافيّة وسياحيّة وإعلاميّة، توفِّرُ فُرَصاً واسعة للاتصالات، وتبادل الزيارات لِبناء جسور المودّة والتسامح وتوفير الأجواء المهيّئة للحِوَار.

3–تَنفيذ مَشروعات مشتركة لترميم المباني القديمة في المدن التاريخيّة.

4–تنظيم عروض موسيقية وغنائية وتراثية متبادلة.

5–تشكيل لجان مشتركة لجمع المأثورات الشِّفاهية الخاصة بكل المدن المتآخية.

6–تنظيم أيام للثقافة في المدن المتآخية، مترافقة مع محاضرات في تاريخ المدن، وأمسيات شعريّة، وعروض مسرحيّة، ومَعارض كتب، ومَعَارض تصوير ضوئي، وفنّ تشكيلي ... الخ.

7–إصدار كتب مشتركة عن المدن المتآخيّة.

8–إعلان جَائزة عالمية للمُدن العربيّة والغربيّة تُمنحُ لأفضل البحوث في تاريخ وثقافة المدن المتآخية. ويشير البحث بتقدير كبير لمؤسسة البابطين للحِوَار في قرطبة لتخصيصها جائزة هامة للعمران الأندلسي.

9–إصدار ألبومات صور وطوابع بريدية تذكارية مشتركة.

10–تنشيط السياحة الثقافيّة البينيّة بين المُدن المتآخية ... الخ.

وفي مجال الآثار توجد مساحات واسعة للتعاون والتلاقي، حيث تُسَاهِمُ الآثَار مُسَاهمة فَاعلة في تفعيلِ الحِوَار الثقافي بين العرب والغرب، فبقليل من الفِطنة يمكننا أن نجعلَ من هذه الآثَار العربيّة الموجودة في الغَرب، والآثَار الغربيّة المَوجودة في البلاد العربيّة رُسلَ تواصل ومحبة وتعارف.

إنَّ معظمَ الدّول العربيّة تتواجد على أراضيها آثار وأوابد رومانيّة ويونانية، وفي المقابل توجد في إسبانيا ومالطا آثاراً عربيّة إسلاميّة.

وَنوصي بضرورةِ تأسيس متحف للثقافات والآثار والفنون الشَّعبيّة المشتركة لتعميقِ المضامين الفكريّة والسلوكيّة للحِوَار، وللبرهان على وحدة الحضارة الإنسانية.

كما نوصي بضرورةِ تأسيسِ متحف متجول للآثار العربيّة والغربيّة والأزياء الشَّعبيّة المشتركة بهدف التعريف بها في الدّول العربيّة والغربيّة.

إنَّ التفَاعل وَالتعَاون وَالتعَارف الثَّقافي بين العرب والغرب لا يكون أبداً بتفوق ثقافة على ثقافة. فلكلِّ ثقافة محدِّداتها الفكريّة ومنطلقاتها وأدواتها وسماتها المعرفيّة التي تتكامل مع حصاد الثقَافات الإنسانيّة الأُخرى لخدمةِ الحَضارة الإنسانيّة الواحدة.

ولعلَّ تنشيط التفَاعل الثَّقافي بين الثَّقافتين العربيّة والغربيّة من خلال المشروعات الثقافية والحضارية، هو أفضل وَسيلة من وَسائل تعميق الحِوَار وتعزيز قِيمه وتفعيل نَتائجه الإيجابية لصالحِ عَمَليّة الحِوَار ككل ومصالح أطراف الحِوَار كافة.

ومن أهم نتائج التفاعل الثَّقافي تعزيز عمليّة التعاون الثَّقافي المتبادل الذي لا يتحقق إلاَّ بتوافر مناخٍ متساوٍ وعادل وصافٍ بين الثقافتين العربية والغربية لصياغة علاقات إنسانية جديدة يسودها الودُّ والتعاون والصَّداقة والسَّلام.

وقد نصَّ إعلان التعاون الثَّقافي الدّولي على أهْدَاف الحِوَار بين الثقافات على النحو التالي:

1-نشر المعارف وحفز المواهب وإثراء الثقافات.

2-تنمية العلاقات السَّليمة والصَّداقة بين الشُّعوب.

3–تمكين كل إنسان من اكتساب المعرفة والمشاركة في التقدّم العلمي العالمي.

4–تحسين ظروف الحياة الروحيّة والوجود المادي للإنسان في جميع أنحاء العالم.

دورُ المَشْرُوعَات الثقافية المشتركة

في تنشيط الحوار مع الغرب:

في حوارنا الثقافي مع الغرب الذي يجب أن يكون شاملاً ومتكاملاً ينبغي ألاَّ نعدم وسيلة ثقافية فاعلة إلاَّ واستخدمناها في تفعيل وتنشيط هذا الحوار، ومن ذلك قيام المشروعات الثقافيّة والإعلاميّة والتعليميّة المشتركة بين الدّول العربيّةِ والغربيّةِ لتفعيل الحِوَار الثَّقافي بين الطرفين وجعله أكثر انتشاراً وحضوراً وفاعلية، ونقترح:

1–إقامة مَرَاكز ثقافيّة مُشتركة تُكَرِّسُ معظمَ نشاطها الثقافي لخدمة الحِوَار وأهْدَافه وأسَاليبه

وخطواته، وتعمل على نشر ثقافته وفكره وآدَابه وأخلاقياته من خلال:

أ–مُحَاضرات وندوات عن كيفيّة الحِوَار وأسَاليبه يُدعى لها أعلام الفكر العربي والغربي.

ب–مَعارض تشكيلية وفوتوغرافية.

3–عروض سينمائية مُنْصِفَة للحضارتين العربيّة والغربيّة تُرسي دعائم التفاهم والتسامح وتغرس بذور ثقافة الحِوار في النّفوس.

4–إقامة مَعَارض كتب مُشتركة لنشر ثقافة الحِوَار وقِيم التسامح وآليَّات التفاهم.

5–ترجمة الكُتُب والبحوث الحَديثة في الحِوَار وطبعها ونشرها على أوسع نطاق.

6–إقامة مُسَابَقات بحثيّة وأدبيّة عن ثقافة الحِوَار.

وكذلك لابدَّ من تفعيل التواصل الثَّقافي بين المدن العربيّة والغربيّة، تحقيقاً لمزيدٍ من التواصل الحضاريّ والإنساني والاجتماعي بين الثقافتين العربيّة

والغربيّة، ومن ذلك المضي قُدُمَاً في مشروع حضاري فاعل للمؤاخاة بين المدن العربيّة والغربيّة. لقد بُذِلَتْ جهودٌ متواضعة دون الطموح المرجو في هذا المجال، حيث عُقد المؤتمر الأوروبي العربي الأول للمدن في مراكش في تشرين الأول من عام 1988م.

وَنَظراً لما لهذا المشروع الحَضَاري من أهميّةٍ فائقة في تعريفِ كلا الطرفين بثقافةِ الآخر، وبالتالي توفير كافة المعطيات والشروط الثقافيَّة والنَّفسيّة الموضوعيّة، ولكي يكون الحِوَار الحضاري أكثر فاعلية نقترح:

1–أن يُعقد المؤتمر الأوروبي العَربي للمُدن بشكل دوري.

2–أن يُعْلِنَ المؤتمرُ المؤاخاةَ بين مدينتين عربيّة وغربيّة في كِّل عامٍ، على أن يترافق ذلك مع نشاطات ثقافيّة وسياحيّة وإعلاميّة، توفِّرُ فُرَصَاً

واسعة للاتصالات، وتبادل الزيارات لِبناء جسور المودّة والتسامح وتوفير الأجواء المهيئة للحِوَار.

3–تَنفيذ مَشروعات مشتركة لترميم المباني القديمة في المدن التاريخيّة.

4–تنظيم عروض موسيقية وغنائية وتراثية متبادلة.

5–تشكيل لجان مشتركة لجمع المأثورات الشِّفاهية الخاصة بكل المدن المتآخية.

6–تنظيم أيام للثقافة في المدن المُتآخية، مترافقة مع محاضرات في تاريخ المدن، وأمسيات شعريّة، وعروض مسرحيّة، ومَعارض كتب، ومَعَارض تصوير ضوئي، وفنّ تشكيلي ... الخ.

7–إصدار كتب مشتركة عن المدن المتآخيّة.

8–إعلان جَائزة عالمية للمُدن العربيّة والغربيّة تُمنحُ لأفضل البحوث في تاريخ وثقافة المدن المتآخية.

ويشير البحث بتقدير كبير لمؤسسة البابطين للحِوَار

في قرطبة لتخصيصها جائزة هامة للعمران الأندلسي.

9-إصدار ألبومات صور وطوابع بريدية تذكارية مشتركة.

10-تنشيط السياحة الثقافيّة البينيّة بين المُدن المتآخية ... الخ.

وفي مجال الآثار توجد مساحات واسعة للتعاون والتلاقي، حيث تُسَاهِمُ الآثَار مُسَاهمة فَاعلة في تفعيلِ الحِوَار الثقافي بين العرب والغرب، فبقليلٍ من الفِطنة يمكننا أن نجعلَ من هذه الآثَار العربيّة الموجودة في الغَرب، والآثَار الغربيّة المَوجودة في البلاد العربيّة رُسلَ تواصل ومحبة وتعارف.

إنَّ معظمَ الدّول العربيّة تتواجد على أراضيها آثار وأوابد رومانيّة ويونانية، وفي المقابل توجد في إسبانيا ومالطا آثاراً عربيّة إسلاميّة.

وَنوصي بضرورةِ تأسيس متحف للثقافات والآثار والفنون الشَّعبيّة المشتركة لتعميقِ المضامين الفكريّة والسلوكيّة للحِوَار، وللبرهان على وحدة الحضارة الإنسانية.

كما نوصي بضرورةِ تأسيسِ متحف متجول للآثار العربيّة والغربيّة والأزياء الشَّعبيّة المشتركة بهدف التعريف بها في الدّول العربيّة والغربيّة.

إنَّ التفَاعل وَالتعَاون وَالتعَارف الثَّقافي بين العرب والغرب لا يكون أبداً بتفوق ثقافة على ثقافة. فلكل ثقافة محدِّداتها الفكريّة ومنطلقاتها وأدواتها وسماتها المعرفيّة التي تتكامل مع حصاد الثقَافات الإنسانيّة الأُخرى لخدمةِ الحَضارة الإنسانيّة الواحدة.

ولعلَّ تنشيط التفَاعل الثَّقافي بين الثَّقافتين العربيّة والغربيّة من خلال المشروعات الثقافية والحضارية، هو أفضل وَسيلة من وَسائل تعميق الحِوَار وتعزيز

قِيمه وتفعيل نَتائجه الإيجابية لصالحِ عَمَليّة الحِوَار ككل ومصالح أطراف الحِوَار كافة.

ومن أهم نتائج التفاعل الثَّقافي تعزيز عمليّة التعاون الثَّقافي المتبادل الذي لا يتحقق إلاَّ بتوافر مناخٍ متساوٍ وعادلٍ وصافٍ بين الثقافتين العربيّة والغربيّة لصياغة علاقات إنسانية جديدة يسودها الودُّ والتعاون والصَّداقة والسَّلام.

وقد نصَّ إعلان التعاون الثَّقافي الدّولي على أهْدَاف الحِوَار بين الثقافات على النحو التالي:

1-نشر المعارف وحفز المواهب وإثراء الثقافات.

2-تنمية العلاقات السَّليمة والصَّداقة بين الشُّعوب.

3-تمكين كلّ إنسان من اكتساب المعرفة والمشاركة في التقدّم العلمي العالمي.

4-تحسين ظروف الحياة الروحيّة والوجود المادي للإنسان في جميع أنحاء العالم.

المراجع والمصادر:

1–مجلة المعرفة (السورية), العدد 257, يوليو 1983م.

2–الفهري, د. عبد الحميد: مثاقفات شعوب المتوسط (دورة شوقي ولامارتين), مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين, الكويت, 2008 .

3 – ثابت, أحمد: العرب بين الحِوَار الثقافي والانعزال, الدار الوطنية, دمشق 2004.

4. خضر, أحمد: الترجمة والثقافة العربية, مجلة العربي, الكويت العدد 506, شوال 1421هـ / يناير 2001.

****

الفصل الرابع
الصُّورة النَّمطية السَّلبية
عن العَرب
في الـذِّهن الغَربي

الفصل الرابع

الصُّورة النَّمطية السَّلبية عن العَرب في الذِّهن الغَربي

يقول المفكر " ريتشارد وليم ": ((إنَّ الذي انصقل كثيراً وازداد تعقيداً هو الجهل الغربيّ، وليس المعرفة الصحيحة بالإسلام وقد كان من أبرز نتائج هذه النظرة المسيحية الخاطئة والسَّلبية إلى المسلمين الغزو الصَّليبي)).

وقد نقل هؤلاء الغزاة إلى الغَرب معلومات خاطئة غير حقيقية عن المسلمين.

وقد ساهمت هذه المعلومات الخاطئة، فضلاً عن كتابات التُّجار والرَّحالة ومنهم " سانت جون ماندفيل " بترسيخ وتكريس مفهوم الصورة السّلبية عن المسلمين.

وهكذا تراكمت الصُّور النَّمطية السَّلبية الخاطئة عن العرب عبر القرون، وتبدَّت على نحو شديد الوضوح في عصرنا الراهن كما سيتضح ذلك في سياقات هذا الفصل.

ولذلك كان لابدَّ من تصحيح هذه الصُّورة السَّلبية الخاطئة كمدخل طبيعي إلى حِوار هادف سوف يستكمل بدوره تصحيح كل الصُّور والمفاهيم والتصورات السّلبية والخاطئة لدى الطرفين.

تعريف الصّورة النّمطية:

يعرِّف الدكتور " أديب خضور " أستاذ الصحافة بجامعة دمشق " الصَّورة النَّمطية الذِّهنية بقوله:

((هي مجموعة الأحكام والتصورات والانطباعات القديمة المتوارثة والجديدة المستحدثة, الإيجابية منها والسَّلبية, التي يأخذها شخص أو جماعة أو مجتمع عن آخر, ويستخدمها منطلقاً وأساساً لتقييمه لهذا الشخص, ولتحديد موقفه وسلوكه إزاءه)).

الأسبَاب الكَامنة وراءَ تشويه صُورة العَرب

تقوم عملية تشويه صُورة العَرب على ثلاث دعائم، هي: العَداء للإسلام في المرحلة الأولى بسبب عجز أوروبا عن فهم الدِّين الإسلامي، والمصالح الاقتصادية والسياسية في مرحلة ثانية. ويضاف إلى هاتين الدَّعامتين، ودون أن تستبعدهما إطلاقاً، الدَّعامة الثالثة وهي القضية الفلسطينية وموقف الغرب المعادي للعرب والمؤيد للصهيونية وإسرائيل، ويمكن إضافة دعامة رابعة تكاد تستكمل مقوماتها وأدواتها، ويمكن اعتبارها، بمنظورٍ ما، نسخة منقَّحة من دعامة المرحلة الأولى وعودة إلى العَداء الدِّيني، ونقصد بها مقولة "صراع الحضارات" وتصوير الحضارة الإسلامية كعدوَّة للحضارة الغَربيّة)).

وتوصَّل الباحث الدكتور " بسيوني إبراهيم حمادة "(1) في بحثه الهام " صورة العرب في أذهان صانعي

الصُّور الغَربيين " الذي أنجزه في أواخر عام 2000 على عيّنة من الصّحفيين الغربيين إلى نتائج هامة، ولاسيما ما تعلق منها بالأسباب الكامنة وراء تشويه صورة العرب في الإعلام الغربي، حيث جاءت الأسباب كما يلي:

- ترى نسبة 87.5 بالمائة من أفراد العينة أن السبب يعود إلى الافتقار بالمعلومات المتعلقة بالشؤون العربية.
- ترى نسبة 85.7 بالمائة من أفراد العينة أن السبب يعود إلى عدم دقة المعلومات المتعلقة بالقضايا العربية.
- ترى نسبة 81 بالمائة أن السبب يعود إلى الصّراعات العربية الغربية العسكرية التاريخية.

- ترى نسبة 79.2 بالمائة أن السبب يعود إلى تحيّز التغطية التي تقدمها وسائل الإعلام الغربية للقضايا العربية.
- ترى نسبة 74.4 بالمائة أن السبب يعود إلى الحساسيات الدِّينية العربية والغربية.
- ترى نسبة 65.5 بالمائة أن السبب يعود إلى موقف الشعوب الأوروبية التي تمتلك صورة مشوَّهة عن العرب.
- ترى نسبة 58.3 بالمائة أن السبب يعود إلى سلوك العرب.
- ترى نسبة 57.1 بالمائة أن السبب يعود إلى الدِّعاية المعادية للعرب.
- ترى نسبة 54.8 بالمائة أن السبب يعود إلى سوء فهم أزمة الطاقة العالمية.

- ترى نسبة 39.9 بالمائة أن السبب يعود إلى عدم فهم العرب لآليات عمل وسائل الإعلام الغربية.

أما من وجهة نَظَر عَربية فيمكننا إجمال عوامل تشويه صورة العربي والمسلم على النحو التالي:

1-كتابات الرَّحالة والمستشرقين غير المنصفة.

2-الأيديولوجية الدِّينية التي تنطلق من العَداء والكراهية للإسلام من منطلق ديني.

3-الصّراع العربي الإسرائيلي.

4-ظهور النفط في الوطن العربي.

5-الاستعمار الغَربي القائم على الاستغلال والهيمنة.

6-عدم التفريق الصَّحيح بين المقاومة المشروعة ضد المحتل وبين الإرهاب.

7-رواسب حكايات " ألف ليلة وليلة " في الذِّهن الغربيّ ... الخ.

الدَّور السَّلبي للاستشراق والرَّحالة:

الاستشراق مؤسسة سياسية ثقافية راسخة ذات طابع تاريخي، اجتماعي، سياسي. وهو نظام المعرفة الغَربية بالشرق.

وقد عَكَسَ الاستشراق التفوق الأوروبي والعنصرية العرقية والإمبريالية وأفكاراً مذّهبية جامدة عن الشَّرق بوصفه تجريداً مثالياً ولا متغيراً.

وقد ورثَ الغَرب النظرة السَّلبية عن القبائل العَربية منذ الحضارة البيزنطية.

كما كان ((الحدث المهم الذي وضع العرب في مجال التاريخ العام هو ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية عند بداية القرن السابع الميلادي، عندها بدأ في أوروبا العَداء للمسلمين ككفار. واستعيد الموروث الكلاسيكي عن العرب، وتحوَّل الجهل المعرفي إلى عَداء ديني ثم سياسي، انتهى

بالحروب الصَّليبية. وأمام انتشار الإسلام لم تستطع أوروبا القروسطية أن تقدم استجابة سوى الخوف والشعور بالرهبة)) 2.

لقد ساهم الاستشراق على مدى خمسة قرون بتكريس المئات من الأوهام والخرافات والأكاذيب والتصورات السّلبية الخاطئة عن العرب والمسلمين حتى أصبحت رأياً عامّاً غربياً سلبياً يصعب تغييره أو تعديله.

1–من هم المستشرقون؟ وما هو الاستشراق؟ ومن هم الرَّحالة؟

((المستشرقون هم الكتَّاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر العربي الإسلامي والحضارة العربية الإسلامية)).

((والمستشرق أيضاً هو كل من يقوم بتدريس الشّرق أو دراسته أو الكتابة عنه أو بحثه في جوانبه المحددة والعامة، سواء أكان ذلك الذي يقوم

بالدرس أو الكتابة أو البحث مختصاً بعلم الإنسان (انثروبولوجي) أو بمختلف العلوم أو مؤرّخاً أو فقيه لغة (فيلولوجي) في جوانبه المحددة والعامة على حدٍّ سواء، هو مستشرق، وما يفعله المستشرق في هذا المجال هو استشراق))

((إنَّ الاستشراق هو أسلوب غربيّ للسيطرة على الشَّرق وإعادة صياغته والتحكم فيه)).

أما الرَّحالة الأوربيون الذين جالوا بكثافة الشَّرق المسلم طوال القرنين السادس والسابع عشر، فقد بنوا ملاحظاتهم وآراءهم وتقييماتهم للشَّرق المسلم على النظرة الموروثة عن العرب والمسلمين، وساهموا في ترسيخ ونشر صورة سلبية عن العرب والمسلمين.

وعلى العموم فقد جرى تصوير العرب في كتابات هؤلاء الرَّحالة والتُّجار على أنهم شعب خطر، متوحشٌ، صفيقٌ، عدائي)) 3.

لقد دخلَ هؤلاء الرَّحالة والتُّجار إلى بلاد العرب وهم يحملون صوراً سلبيةً، وعادوا إلى بلادهم يحملون هذه الصُّور السَّلبية، رغم مخالفتها لحقيقة طبيعة الإنسان العربي الذي عايشوه خلال رحلاتهم، فكان الدّليل لهم في أسفارهم والمضيف لهم، والمدافع عنهم من قطاه الطرق واللصوص.

لقط ظلَّ هؤلاء الرَّحالة والتُّجار في غالبيتهم العظمى أمناء لتصوراتهم السَّلبية السَّابقة، لا بل إنَّ بعضهم قد ألَّف الكثير من الأكاذيب والخرافات من نسخ خيالهم وتصوراتهم السابقة.

لقد نظر الرَّحالة هؤلاء باستعلاء كبير إلى العرب والأفارقة والهنود، ولم يحاولوا فهم عقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم.

ومن أبرز المستشرقين والرَّحالة الذين ساهموا بترويج صور سلبية كاذبة عن شخصية الإنسان

العربي وحضارته وقيمه نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

" وليام بدويل " و " جوزيف بتر " و " وليام لثغو " و "الكسندر كينغليك " و " تشارلز دورتي " و " تي. لورنس " و " رفائيل بتاي "، وسواهم.

وقد ساهمت كتابات هؤلاء الرَّحالة بتشكيل الصُّورة النمطية السَّلبية عن العرب والمسلمين وغذَّت المواقف الغَربية العدائية ضدهم، وأعاقت الفهم الحقيقي لرسالة الإسلام السَّامية والحضارة العربية اللتين ملأتا الأرض عِلماً وهداية في القرون الوسطى عندما كان الغرب يغط في سباتٍ طويل من الجهل والتخلف والعَمَاء.

2–الصُّور النَّمطية السَّلبية التي رسَّخها الاستشراق عن العرب والمسلمين

رسَّخَ الاستشراق صُوراً نمطية سلبية ثابتة عن الدِّين الإسلامي والعرب والحضارة العربية والإسلامية ما زالت ماثلة في الذِّهن الغربي وتشكل عقبة كأدَاء في طريق الحِوَار والتفاهم:

أ–الدِّين الإسلامي

((تم رفض الإسلام كدين، والاعتراف بمحمَّد كنبي ورسول. وَوُصِفَ المسلمون بأنهم كفار، ووقف الغَرب موقف العَداء منهم. وتُرجم هذا الموقف في حروب حققت إنجازات مؤقتة ثم انكفأت. واستمر وصف الدِّين الإسلامي بأنه دين متخلف وعقيم واستبداديّ، يشل الفكر والإبداع، ويكرِّس الجمود والتراخي والكسل)) 4.

ب–العرب

((تجسَّدتِ النظرةُ العرقيةُ والعنصرية للاستشراق في وصف العرب بأنهم: برابرة متوحشون، وبدو رُحّل يركبون الجِمال، ومتخلفون خاملون وكسالى,

وبدون قيم وأخلاق, وغدارون أنذال ليسوا أهلاً للثقة, وجبناء متعصبون, ولديهم نزعة قوية للخضوع والانصياع, وهم فاسدون لا يُرجى لهم صلاح, وضعفاء)).

وكَتبت المستشرقة الأمريكية " تيرل " في مجلة " هاربر ": ((إنَّ العرب أساساً قتلة، وإنَّ العنف والخديعة محمولان في المورثات. الفكر الغيبي يسيطر على العرب، والمرأة عندهم مجرد أداة للمتعة في مناخ الحريم, والآخر هو عدو)) 5.

ومما لاشكَ فيه أنَّ المستشرق القديم والجديد يشتركان في نفس النظرة السّلبية إلى العرب، وقد استمرت هذه الصُور السَّلبية النَّمطية بعد انهيار النظام الشيوعي وتصوير الإسلام كخطر قادم، وتعزَّزت هذه الصُّور السَّلبية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م.

ت–الحضارة العربية والإسلامية

نظرَ أغلب الرَّحالة والكتّاب والمستشرقون الغربيون إلى الحضارة العربية والإسلامية نظرة سلبية متعسفة غير منصفة.

فالعرب – كما يقول " رينان " ((ليس لديهم حضارة، ولم يبدعوا في أي مجال، ولم يساهموا في تطوير الحضارة الإنسانية، وليس عندهم علماء ومفكرون وفلاسفة)).

وقد تم ترسيخ هذه الصّورة السَّلبية المنافية للحقيقة عبر مرحلة زمنية طويلة لدوافع دينية ومصالح سياسية واقتصادية.

((لقد تم تجاهل الإنجازات العلمية والفلسفية والثقافية، كما تم تجاهل حقيقة معاملة العرب للمسيحيين واليهود في الأندلس. وطمست حقيقة أنهم هم الذين حفظوا الفلسفة اليونانية وطوّروها ونقلوها إلى أوروبا، وأنهم أبدعوا في المدنيّة، وهم الذين بنوا مدينة قرطبة التي كان عدد سكانها

500 ألف نسمة في القرن العاشر، حين كان عدد سكان باريس 38 ألفاً. قرطبة التي شهدت أول شارع مُنَار بالعالم الغربيّ)) 6.

صُورة العَرب في الإعلام الغَربي

عمدَ الإعلام الغربيّ، وما زال –بقصد وبدون قصد – وبكافة وسائله المقروءة والمسموعة والمرئية إلى تشويه صورة العرب والدِّين الإسلامي الحنيف لاعتماده على ذخيرة من المفاهيم والتصورات والمصالح البراغماتية والقوالب النَّمطية السَّلبية الجاهزة المحدَّدة مسبقاً بجملة من العوامل الاقتصادية والثقافية والسياسية.

1–صُورة العَرب في الصحف والمجلات

تُظهر الصحف والمجلات الغربية على وجه العموم، العرب بصورة مشوَّهة تجانب الحقيقة وتنافي الواقع وأكثر الصُّور شيوعاً وانتشاراً عن العرب في هذه المجلات: عدم الوحدة، والبداوة، وعدم الأمانة،

وعدم التعديل، والجبن، والإرهاب، وعدم الكفاءة. وعلى الضدّ من ذلك، جرى تصوير الإسرائيليين في فترة حرب 1967 بصفتهم أَكْفَاء وبطوليين ويعتمدون على أنفسهم ".

ولعلَّ من أسباب النَّظرة السَّلبية إلى العرب، النظر إلى إسرائيل كامتداد للحضارة والثقافة الغربيتين، ففي كافة الحروب العربية – الإسرائيلية، وكافة فصول العدوان الإسرائيلي المتواصل على الشَّعبين الفلسطيني واللبناني، كانت الصحافة الغربية – وما تزال –تَتبنَّ وجهة النظر الإسرائيلية وتقف موقف المدافع عنها إنَّ الصَّحافة الغربيّة التي تّدّعي الديمقراطية والمهنية، لا تخجل من تصوير إسرائيل على أنها ((واحة الديمقراطية التي جعلت صحراء فلسطين غير المأهولة تزهر))

وعلى العكس من هذه الصُّورة الوردية للشخصية الإسرائيلية، تُظهر الصَّحافة الغربية العرب كـ

(متخلفون)، (متعصبون)، (شبقون)، (كسالى) و (إرهابيون متعطشون للدِّماء).

" ويقوم الإعلام الألماني الرَّاهن والسواد الأعظم من الاستشراق الألماني الحديث بتكريس الصُّورة السّلبية عن العرب والمسلمين الموروثة من الاستشراق القديم، ويأخذان موقف العَداء للعرب والإسلام والتأييد لإسرائيل والصهيونية" 7.

وتعكس الصَّحافة الألمانية، كسائر أنواع الإعلام الأوروبي، مقولات الاستشراق القديم والحديث عن العرب والمسلمين، الذي ((يُصوِّر العرب رعاة وراكبي جِمال وبرابرة وحمقى وخاملين كسالى وشهوانيين، وأثرياء تمثل ثروتهم إهانة للحضارة. وفي مقابل هذه الصورة السَّلبية عن العربي، وكما هو الحال في الدول الغربية الأخرى، تُقدم الصحافة الألمانية صورة إسرائيل الإيجابية)).

2–صورة العرب في فنّ الكاريكاتور

يُعتبر فنّ الكاريكاتور من الفنون التي استخدمتها الصَّحافة الغربية وما تزال لتشويه صورة العرب بصور هزلية شتَّ تروج القوالب الذِّهنية العنصرية المشينة. ((فغالباً ما تُعَرضُ شخصية العربي في الكاريكاتور بسماتٍ جثمانية (أي الشارب أو اللحية مع أنف مقوس) وعباءة مهفهفة وكوفية رأس، وتحمل هذه الشَّخصية أحياناً خنجراً، وهي تحمل الآن كلاشنكوف، وتكون حافيةَ القدمين أو تحتذي خُفّاً في الصَّحراء

ومن خلفها آبار النفط)).

((لقد شملتِ الدراسة المسْحِيَّةُ التي قام بها " جورج دمون " للكاريكاتور السياسي الذي يتناول العرب والشرق والأوسط أربع مراحل شديدة التوتر في نزاع الشرق الأوسط: 1948 – 1956 – 1967 – 1973.

وأظهرت الدراسة المسْحِيَّةُ أن الرسوم تُثبت الاتجاه العدائي، العنصري ذاته ضد العرب وتشويه سمعهم. كما هو الحال في الأبواب الصَّحفية الأخرى)).

ومن المواضيع الأخرى المهيمنة على الرّسوم الكاريكاتورية منذ عام 1967 موضوع العرب كإرهابيين ينوون تدمير إسرائيل.

ومن الصُّور الكاريكاتورية الجديدة ((الحريم)) و ((النفط)) و ((الأوبك))... الخ.

ويجري تقديم العرب في الرسوم الكاريكاتورية، وهم بملابس بدائية وعليهم سمات الأوغاد الشريرين الكريهين والمنفّرين، بخلاف صورة الإسرائيليين فهي على العكس من هذا تماماً.

يقول الباحث "وليد خدوري" في دراسته ((النفط ووسائل الإعلام الغربية)):

((وسائل الإعلام الغربية تحاول ببراعة أن تَحُطّ من شأن العرب في نظر العالم، وذلك بإظهارهم وزعماءَهم أوغاداً مسؤولين عن الضيق والفوضى والأزمات)).

وقد نشرت " نيويورك ديلي نيوز " كاريكاتوراً يُروّج هذه الصورة هناك في الرسم عربيان يجلسان معاً في الصّحراء ليلاً وجِمالهما من خلفهما، يقول أحدهما: ((ألا ترى كم يطلبون الآن بسيارة لنكولن مصفحة؟ يا ساتر! فيجيبه الآخر: ((نعم... وهذا سبب آخر يدعونا لرفع أسعار النفط مرة أخرى)) .8

يقول الصَّحفي: ((فرانك غايلز)) نائب محرر صنداي تايمز: ((الاشمئزاز الحديث في المجتمع البريطاني من العرب قد أمسى ازدرائياً، معادياً بل وحتى عنصرياً وبصراحة أكثر مما مضى، وهذا الاشمئزاز ينبع من انحطاطٍ بريطانيٍ في الشَّرق

الأوسط وتفجُّر الرخاء والاستقلال في العالم العربي)).

ويدلل على الاتجاه العدائي الكثير من الرسوم الكاريكاتورية التي تسخر من العرب، ففي صحيفة ((صنداي تايمز)) نرى رسماً يمثل شرذمة من أعراب الشوارع يركضون خلف انكليزي متغطرس وهو يرتدي خوذة ونظارات ويصيحون (الصَّدقة حبّاً لله!) ومجموعة من الإنكليز وعلى سيماهم ملامح الضيق وهم يرتدون البدلات الغامقة والقبعات العالية، ويتبعون أميراً أو شيخاً عربياً بديناً مترفعاً ويصيحون (النفط حبّاً لله!).

ومما يؤسف له حقاً أنَّ تشويه صورة العرب في الصحافة الغربية قد تجاوزت كلَّ الحدود المهنية والأخلاقية والإنسانية عندما أقدمت صحيفة دنماركية في فبراير 2006م على نشر رسم كاريكاتوري يسخر من شخص رسول المحبة

والسلام المصطفى ﷺ ثم تبعتها عدة صحف هولندية ونرويجية وفرنسية وإسبانية. ورغم كل مظاهر الرفض والاحتجاج وحتى المقاطعة الاقتصادية في العالم الإسلامي للبضائع الدنماركية أعادت خمس عشرة صحيفة دنماركية أخرى نشر الرسم المشين نفسه في فبراير 2008م في تحدٍ سافر وصفيق لمشاعر مليار ونصف مليار مسلم.

وهذا يدللُ على أن تشويه صورة العرب والمسلمين في الصَّحافة الغربية بدأ يتخذُ منحى تصاعدياً استفزازياً شديد الخطورة باستهداف شخص الرَّسول ﷺ الذي أرسله الله ﷻ رحمةً مهداة للبشرية جمعاء.

3–صورة العرب في السينما والتلفزيون

تعتبر السينما وكذلك التلفزيون من أكثر وسائل الإعلام تأثيراً في تكوين الرأي العام وتشكيله.

لقد أثَّرَت السينما الغربية منذ بدايتها في أوائل القرن العشرين الماضي، تأثيراً كبيراً في الصَّورة العربية في الغرب، ((وذلك بنشر صور جديدة وتثبيت أو ترويج الصُّور والقوالب الذِّهنية القاتمة أصلاً. والصُّور الرئيسية التي حاولت السينما ترويجها شعبياً في العشرينيات عن العرب، هي رقص هز البطن والسَّرقة والقرصنة والصورة الرومانسية)) 9.

ومن أكثر الأفلام الغَربية تشويهاً لصُورة الإنسان العربي على سبيل المثال لا الحصر:

أ–فيلم " الشيخ " (1921): يُظهر الإنسان العربي كشهواني يختطف النساء.

ب–فيلم " الصَّليبيون " (1935): يصوِّر العرب وهم يقاتلون المسيحيين في القدس.

ت–فيلم " الريشات الأربع " (1939): يصوِّر العرب كأوغاد وغدارين ومتعطشين للدماء.

ث–فيلم " لص بغداد " (1941).

ج–فيلم " علي بابا والأربعين حرامي " (1944).

ح–فيلم " الليالي العربية " (1942).

خ–فيلم " ألف ليلة وليلة " (1945).

د–فيلم " السندباد البحري " (1947) (الأفلام الخمسة السابقة تصوِّر الإنسان العربي كإنسان يعيش ضمن إطارٍ من المكائد والمطاردات والحكايات الخيالية).

ذ–فيلم " سيف في الصحراء " (1949): يصّور العرب (كمتخلفين) و (إرهابيين).

ر–فيلم " الخروج " (1960): يُظهر شخصيات يهودية وهي (تقاتل) من أجل القضية اليهودية وضد (الإرهابيين) العرب 10.

وقد تَّم عرض معظم هذه الأفلام على شاشة التلفزيون مما أتاح لكثيرين في الغرب فرصة

مشاهدتها وتكوين صُور سلبية في أذهانهم عن العرب.

وقد بلغت السينما الغربية أوج كراهيتها للعرب بعرضها الفيلم التسجيلي للنائب الهولندي اليميني المتطرف المسيء للقرآن الكريم والدِّين الإسلامي الحنيف في شهر مارس 2008م.

أما في التلفزيون ((فتظهر أسوأ الصُّور عن العرب: منها صورة البدوي الآخذ بالثأر، القاسي، الجبان، المنحط، المهووس، إلى صورة المبتزِّ بواسطة النفط .11

ففي معظم المسلسلات التي تعرضت للعرب تظهر الصُّور المعادية، ومن هذه المسلسلات على سبيل المثال: كانون، والمرأة الإلكترونية، وملائكة تشارلي، ورجل الستة ملايين دولار، ويوم واحد في كلِّ مرة، والفتاة الأمريكية، والقرصان، والمحترفون .. الخ.

ويسود تشويه الصُّورة العربية في البرامج المُعَدّة للأطفال مثل (طرزان) و (الطبّال الصغير)، ففي (طرزان) يُصوَّر العرب كقَتَلة وتجار رقيق للرجال والنساء. ونجد في (الطبّال الصغير) النَّمط نفسه من نشر القوالب الذِّهنية السَّلبيَّة عند العرب)).

وفي الكثير من الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية والأعمال الدرامية والكوميدية والوثائقية

"

يرتبط العرب إما بالفسق أو بالغدر أو بالخديعة المتعطشة للدم. كما يظهر مُتحللاً ذا طاقات جنسية

مفرطة، وخؤوناً وغدّاراً وسادياً، وتاجرَ رقيقٍ، وراكب جِمال، ووغداً... الخ".

وقد حدثَ تحسن نسبي على صورة العرب في الصحافة الغَربية بعد حرب أكتوبر 1973 ولكن

هـذه الصُّورة مـا لبثـت أن عـادت أكثـر حـدّة بعـد أحداث 11 سبتمبر 2001م.

صُورة العَرب في المناهج التعليمية الأمريكية

أثَّـرَ الاستشـراق علـى المنـاهج المدرسـية الغَربيـة في النظـرة السّـلبية إلى العـرب. ونستشـهدُ هنـا بدراسـة الـدكتور "إياد القـزّاز"، أسـتاذ علـم الاجتمـاع في جامعـة ولايـة كاليفورنيـا في سـكرمنتو، الـذي قـام بتحليـل محتويات ستة وثلاثين كتاباً مدرسياً للعلوم الاجتماعيـة مقـررة للتـدريس في المـدارس الابتدائيـة والمتوسطة في ولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة، وفي غيرهـا مـن الـولايات خـلال السـنة الدراسـية 1974–1974، حيـثُ وَجَـدَ في تمحيصـه لصـورة الإسـلام كمـا رُسِمـتْ في هـذه الكتـب أنهـا صـورة مُشَـوّهة للعقيـدة الإسـلامية تُفـرط في تأكيـدها على طبيعة الإسلام العنيفة والمولعة بالقتال.

والصُّور المهيمنة الأخرى التي تسود في هذه الكتب هي صورة الرِّق ومركز المرأة، والخلط بين القرآن الكريم والحديث النّبوي، وتصوير العرب كشعب بدوي مولع بالغزو والنهب والسَّلب)).

ومن الدّراسات الجادة في هذا المجال دراسة " شارون أبو لبن " و " غلين بري " و " إل. إم. كني.

ويُقَدَّم العرب والإسلام في المناهج الأمريكية موضوع تلك الدراسات على النحو التالي:

1–يُقَدَّمُ الإسلام أحياناً، وبدرجات غير متفاوتة، على أنه ديانة غير متسامحة.

2–يُقَدَّمُ العربيُّ غالباً، على أنَّه خصم بدوي ومعتدٍ يتطفل على أراضي الآخرين" إسرائيل" (38).

3–يُقَدَّمُ الفلسطيني المقاوم للاحتلال الصهيوني كإرهابيّ!

4–التأكيد على انتشار الإسلام بالسيف ..الخ.

وتوصلت عشرات الأبحاث العلمية والدراسات الميدانية التي حلّلت مضامين الكتب الأمريكية والغربية إلى نفس النتائج السَّابقة وبدرجات مختلفة متفاوتة.

صُورة العَرب في الآدَاب الغَربية

هَيمَنَ الفكر الاستشراقيّ على الآدَاب الغَربية القديمة والحديثة، سواء أكان ذلك في الشِّعر أو المسرح أو الرواية أو القصة، وساهم بدوره في تكريس مفاهيم الاستشراق وصوره السَّلبية عن العرب والمسلمين في فكر الإنسان الغربي.

((لقد نظر "لامارتين" على سبيل المثال إلى فلسطين تماماً كما نظر إليها الصَّهاينة الأوائل، صحراء خالية تنتظر الازدهار، القليل من السكان الذين كانوا فيها هم بدو رحل لا وزن لهم)).

أما "دانتي" فقد وضع النّبي محمَّد ﷺ في المرتبة قبل الأخيرة من الأشرار، ووضع أيضاً ابن سينا وابن رشد وصلاح الدين الأيوبي في نفس الموضع)).

****

المراجع والمصادر:

[1] –ساري د. حلمي خضر: صورة العرب في الصحافة البريطانية، عمان 1986.

[2] –خضور د. أديب: صورة العرب في الإعلام الغربي وزارة الإعلام، دمشق 1995.

[3] –حمادة بسيوني إبراهيم: المجلة المصرية لبحوث الرأي العام عدد 3 تموز / أيلول2000م.

4–خدوري وليد: النفط ووسائل الإعلام الغربية، ندوة الصَّحافة الدولية، لندن 1979.

5–العبادي، صالح: آنّا ماري شيمل: السفير الثقافي بين الشرق والغرب، مجلة الفيصل، العدد 322, يونيو 2003.

6 –شيمل، آنّا ماري: من كلمتها في حفل استلام جائزة الصلح للناشرين الألمان، مجلة كيهان، العدد 28, طهران نوفمبر 1995م .

7 –حمادة بسيوني إبراهيم: المجلة المصرية لبحوث الرأي العام عدد 3 , تموز / أيلول2000م ص8 .
8–خراط د . محمّد يحيى: الاستشراق والمستشرقون، مجلة المعرفة، العدد 507, دمشق كانون الأول 2005.
9 – عثمان، محمَّد عثمان: محمّد ﷺ في الكتابات المنصفة، إصدار خاص، دمشق 2002.
10–صحيفة نيويورك ديلي نيوز، عدد يوم 16 نوفمبر 1976م / نقلاً عن ندوة الصحافة الدولية لندن 1979.
11–العبادي، صالح: آنّا ماري شيمل: السفير الثقافي بين الشرق والغرب، مجلة الفيصل، العدد 322, يونيو 2003.

****

الفصل الخامس

مقدّمة في الحِوار العربي الإسلامي - الروسي

الفصل الخامس

مقدّمة في الحِوار العربي الإسلامي –الروسي

للعالم العربي الإسلامي مكانته الدّولية الهامة، وكذلك الأمر لروسيا الاتحادية، والعلاقات الثقافية بينهما كانت متواصلة وما زالت، من خلال وجود عشرات القوميات المسلمة في روسيا، فضلاً عن مجاورتها لعدة بلدان إسلامية، ونظراً لهذا التماس الثقافي في الجغرافيا والحضاري بين الحضارتين العربية الإسلامية والروسية، فقد أعلنتْ روسيا في شهر آب سنة 2003 انضمامها للمؤتمر الإسلامي بصفة مراقب كخطوة أولى ولاقت هذه الخطوة استحساناً من الدول العربية والإسلامية، وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية وماليزيا.

وإذا أخذنا بالحسبان الانتماء الجغرافي لأجزاء من روسيا إلى القارة الآسيوية لاستطعنا أن نصل إلى نتيجة مؤداها أن الحوار بين العرب والمسلمين هو حوار بعض الشرق مع بعضه الآخر. ويؤيد هذه النظرة العديد من المستشرقين والمفكرين الروس، ومنهم الفيلسوف الروسي الشهير " بردييف " الذي يقول:" ليس الشعب الروسي شعباً أوربياً محضاً، ولا هو شعبٌ آسيويٌ محضٌ. روسيا هي جزء كامل من العالم، وهي لقاء الشرق والغرب"(1).

إن روسيا بموقعها عند ملتقى الحضارات العالمية في القارة الأوراسية (الامتداد الجغرافي والتواصل بين قارتي أوربا وآسيا) " أدّت تاريخياً رسالة جيوسياسية تاريخية فريدة لدعم التوازن الكوني بين العالمين

المسيحي واللا مسيحي، وذلك باعتبارها مكاناً متميزاً بين أوربا وآسيا "(2).

.....

لمحة عن تاريخ العلاقات بين روسيا والعالم العربي والإسلامي

تعود العلاقات بين روسيا والعالم الإسلامي إلى القرن التاسع، حيث " شكلت القدس محط أنظار الحجاج الروس منذ العالم 1106 عندما قام الراهب دانيال بأول حجة إلى الأراضي المقدسة"(3).

وكان هؤلاء الحجاج يعودون إلى ديارهم حاملين معهم انطباعاتهم، فتجذرت صورة القدس في الوعي الروسي. ولعلَّ الأواني الخزفية والنقود المنقوشة التي عُثر عليها في مدينتي موسكو وريزان ومصدرها

مصر وسوريا تشكل دليلاً مادياً على العلاقات الروسية الإسلامية في تلك الفترة. من جهة أخرى، وعلى الرغم من تاريخ النزاعات الدبلوماسية والعسكرية بين روسيا والسلطنة العثمانية منذ القرن الرابع عشر، فإن ثمة علاقة نشأت بين حضارة كل من الدولتين. يقول البروفيسور " رينات سلطانوف " الباحث في شؤون العلاقات الروسية الشرقية:" يكفي المرء أن يلقي نظرة على لباس القياصرة وقبعاتهم وتيجانهم ليرى الأثر البالغ للتقاليد الشرقية" (4).

ولا يمكن للباحث في تاريخ العلاقات بين روسيا والعالم الإسلامي أن يغفل دور الإرساليات الدينية والتعليمية الروسية إلى بلاد الشام منذ العالم 1885، حيث انتشرت المدارس الروسية التي اعتمدت اللغة العربية في مدن طرابلس، بيروت،

دمشق، حمص، الناصرة، فضلاً عن قرى أميون، الحاكور، رحبة، بيت غالا، مشغرة.

" لقد كانت هذه المدارس مجانية تعطي الملابس والكتب للتلامذة وتؤمّن لهم التطبيب المجاني، وكانت تعتمد أساليب تربوية حديثة"(5).

كما نشطت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر حركة الاستشراق الروسي وفي مطلع القرن العشرين، حيث ترجمت الكثير من الكتب العربية إلى اللغة الروسية، ومنها كتاب " ألف ليلة وليلة " وكتاب " الأيام " لطه حسين.

وهكذا لم تشهد العلاقات الروسية _ العربية حالات صدامية كبرى كما شهدتها العلاقات العربية _الغربية.

ومن الطبيعي بمكان أن تنبثق العلاقات الثقافية العربية _ الروسية من رحم العلاقات التاريخية وفق تجليات المثاقفة والتعاون الحضاري.

لقد عقد في مطلع الألفية الجديدة في لبنان وبدعم من اليونسكو مؤتمر للحوار انطلاقاً من تجربة روسيا والمشرق العربي لإقرار عناصر الالتقاء بين الثقافات وليس العكس. " إنَّ العالم العربي هو النواة الروحية للعالم الإسلامي. والمشرق العربي يتمتع ضمن هذا العالم بمكانة نادرة لا مثيل لها. وروسيا دولة غالبية سكانها يدينون بالمسيحية الأرثوذكسية، ولكن روسيا أوروبية وآسيوية في الوقت نفسه" (6). لقد شهدت الساحة الثقافية في المشرق العربي تبلور تيار عريض من خريجي المعاهد والجامعات الروسية التي اهتمت بترجمة عدد من الوثائق الروسية المهمة الخاصة بالمشرق العربي إلى اللغة العربية. كما إن

بعض المراكز العلمية، والجامعات، ودور النشر كانت تشجع الباحثين العرب على ترجمة الوثائق الروسية الخاصة بالمشرق العربي نتيجة لذلك.

ودلَّتْ دراسة " مكارم العمري " الموسوعية " مؤثرات عربية إسلامية في الأدب الروسي " على وجود اهتمام جدي لدى عدد كبير من كبار الشُّعراء والفنانين الروس بالتراث العربي الإسلامي.

وفي عام 2000 نشر الباحث السوري " مالك صقور " دراسة متميزة بعنوان " بوشكين والقرآن " تضمَّنت مقارنة بين الأدب العربي والأدب الروسي، وترجمت إلى العربية عشرات الوثائق والكتب من أرشيف روسيا القيصرية عن تاريخ العرب الحديث والمعاصر. كما ترجمت روائع من الأدب والشعر والرواية والمسرح الروسي.

.....

الاستشراق الروسي والمشرق العربي :

تبلور الاستشراق الروسي في القرن التاسع عشر عبر مجموعة كبيرة من الباحثين، والمؤرخين، والشعراء، وكّتاب الرحلات إلى الأراضي المقدسة. يضاف إلى ذلك أن تجارة روسيا مع مصر وبلاد الشام وأرجاء واسعة من السلطنة العثمانية كانت متطورة، ولاسيما مع القدس، ودمشق، وحلب، وأزمير، والآستانة وغيرها. وتوسّع اهتمام الروس كثيراً بدراسة اللغة العربية في عدد من الجمعيات والمراكز العلمية الروسية.

" وبدأ اهتمام الروس بالتراث العربي الإسلامي يتزايد بشكل ملحوظ بعد ترجمة عدد من المصادر الأساسية في هذا المجال إلى اللغة الروسية. وما لبث الاهتمام الثقافي الفردي أن تحول إلى علم استشراق متميز. يسعى الباحثون فيه إلى معرفة أحوال

الشرق عن طريق نشر حب الاستطلاع، والقيام بزيارات مباشرة إلى المشرق العربي لتدوين مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية والإدارية والاقتصادية والثقافية والفنية فيه. وكذلك أرسلت بعثات علمية من المستشرقين الروسيين الشباب للاطلاع على شؤون منطقة المشرق العربي، والتدريب على الكلام باللغة العربية بهدف الترجمة منها إلى الروسية"(7).

لقد كرَّس بعض كبار المستشرقين الروس جلّ أوقاتهم لتعلّم اللغة الشرقية، وتدريب المستشرقين الشباب عليها، وحثّهم على تعلمها، والترجمة، وإلقاء المحاضرات، ونشر المقالات والكتب، وإقامة الصِّلات مع مراكز ثقافية ومثقفين مشرقيين، والعمل على شراء المخطوطات الثمينة أو نسخها.

لقد تميزت كتابات المستشرقين الروس عن متصرفية لبنان والمشرق العربي بالدقة والتأثر بسحر الشرق والحرص على إظهار الحقائق بموضوعية، كما دلت دراستا القنصل " بيتكوفيتش "

" لبنان واللبنانيون "، و " حوران والحورانيون ". من أهم المستشرقين الروس الذين أغنوا الدراسات المشرقية في الاستشراق الروسي سينكوفسكي ، ورافالوفيتش، ولفوف، وبازيلي، وسواهم.

.....

مقّدمة في الحوار العربي ــ الروسي

انطلاقاً من العلاقات التاريخية والثقافية القديمة بين الحضارتين العربية والروسية يمكننا أن نستنتج أنَّ شروط الحوار الثقافي والحضاري متوافرة بين

الطرفين. فالاحترام المتبادل موجود والعلاقات كانت إيجابية، وتم خلق حوار مشترك عبر امتلاك لغة الآخر عن طريق الترجمة. وساهمت الهوية المشرقية لروسيا في ترسيخ أسس الحوار بين الطرفين، حيث أكّد بعض الدارسين على أنَّ روسيا في كينونتها التاريخية الثقافية مشرقية لأنها تستمد الكثير من مقوماتها من التقاليد الشرقية الإسلامية، وكذلك يشكل حضور الكنيسة الأرثوذكسية الأنطاكية جسر تواصل جامع بين روسيا والعالم العربي.

وإذا أضفنا إلى ذلك العلاقات التاريخية والثقافية المشار إليها آنفاً، يتضح أنَّ أسس الحوار بين روسيا والشرق العربي متينة وأنَّ شروطه متوفرة، ولذلك ينبغي تفعليه كضرورة ملحة ونحن في العقد الثاني من الألفية الثالثة، ولاسيما مع تزايد العلاقات

الاقتصادية والتجارية بين الطرفين، وعقد اتفاقات عديدة بين الكثير من الدول العربية والإسلامية وروسيا الاتحادية كما حدث في عام 2017 من توقيع اتفاقيات اقتصادية عديدة مع حكومة المملكة العربية السعودية.

.....

الحوار المعرفي العربي –الروسي:

الحوار المعرفي الذي يوظف المعرفة والمعلومة في الحوار بهدف إغناء الذات بالآخر هو جانب هام من جوانب الحوار العربي الروسي. ويعتبر الفارابي عاملاً ثقافياً مشتركاً بين العرب والمسلمين والروس، حيث كان قد وضع التحاور المعرفي في مجال التسالم، حيث يود التعارف أو التفاكر، وقابله بالتغالب، حيث يحل التناكر، إنكار الآخر، تمهيداً لإلغائه كذات لتحويله إلى غرض موضوع. "

وفي خطى الفارابي، هذا الفيلسوف الكبير جرى التفريق في الفلسفة العربية بين الفاعل (الذات: بمعنى الأنا)، والقابل (بمعنى الآخر). وفوق ذلك أدرك العرب في مرحلة أنسنة ثقافتهم الإسلامية، مغزى المعاملة بالمعروف، في حالتي اللقاء والافتراق، فميّزوا الأنتَ في الآخر الصديق أو الحبيب، من الأنتَ المعادي أو القاتل. واعتقدوا أنَّ الناس اثنان، أخوك في الدّين وأخوك في الخَلق، طبعاً هنالك مسلمون في روسيا إلى جانب الأرثوذكس، وهنالك أرثوذكس في المشرق العربي، وهذا والمجال الإنسي وتجلياته الثقافية والأدبية والعلمية"(8). لقد أصبح الأدب الروسي، ومنه الرواية الروسية من مرجعيات الثقافة العربية المعاصرة، ولاسيما وأن أهم أعلامه الكبار كـ " تولستوي " و " بوشكين " وسواهم أبدو اعجابا

كبيراً بالحضارة العربية الإسلامية، واحتراماً عظيماً للدين الإسلامي والقرآن الكريم والنّبي محمد

(صلى الله عليه وسلم) بل وكتبوا الكثير من الكتب والدراسات المنصفة في هذا المجال. ويخطئ من يحصر الحوار العربي ـ الروسي في النطاق الأيديولوجي والتكنولوجي أو السياسي والاقتصادي على أهمية هذا النطاق الذي يُكرس المصالح المشتركة. فوراء المصالح كانت تنمو ولو على نحوٍ بطيءٍ ـ معارف تؤثر في شراكات ثقافية عميقة ستدوم أكثر من لعبة المصالح الآنية ولكن من الخطأ فصل مصالح الشعوب عن معانيها. فالمصلحة بذاتها معرفة متجسدة، والمعرفة هي بدورها مصلحة فكرية عقلية، تجسّد ما يراه الطرفان صالحاً لكل منهما. وهكذا يسعى الحوار

العربي إلى تأصيل مفهوم إنسانية العلاقات العربية ـ الروسية.

.....

العرب والمسلمين في الأدب الروسي

بخلاف الصّورة النّمطية السَّلبية للعرب والمسلمين في الآداب الغربية، كانت هذه الصورة مشرقة في كتابات الأدباء الروس على نحوٍ مدهشٍ، مثلما كانت أيضاً في كتابات المستشرقين والرحالة الفلاسفة. ويعتبر " بوشكين " أهم شاعر روسي أعجب بالإسلام كدين سماوي وبالقرآن الكريم ككتاب سماوي منزَّل في العديد من قصائده، حيث نفذَ إلى روح القرآن وجماله وقيمه. وقد قال الروائي الروسي الكبير" ديسيتوفسكي " في خطابه الشهير في ذكرى بوشكين " :" ألسنا نرى هنا مسلماً، ألا نرى روح القرآن ذاته، بساطة الإيمان وقوته

الخارقة". لقد استلهم " بوشكين " في قصائده فروسية الأبطال المسلمين وشجاعتهم وأخلاقهم. ويظهر تأثر الروائي الروسي الكبير " تولستوي " بالثقافة الإسلامية في كتابه " الشهير " كتابات من القرم " حيث يتوجه إلى الله سبحانه وتعالى مبتهلاً بالدعاء ومثقلاً بالأعياء بشعر يقترب كثيراً من الروح الإسلامية. وكتب الشاعر الروسي " بولو نسكي " عدة قصائد تجسد موضوعات إسلامية، منها قصيدة بعنوان " مُحمَّد " وسلسلته الشعرية الشهيرة " أغنية تترية"، و"كرنفال "، و " من حافظ ".

وفي نهاية القرن التاسع عشر ازداد حضور العرب والإسلام والشرق في الأدب الروسي، ميخابيلوف: ترجمات شعرية، للقرآن، جلال الدين الرومي، سعدي وغيرهم. وكتاب بوختين " تقليد العربية"،

وكتاب مايكوف " صلاة بدوي "، و"
لوخفيسكايا" في رائعته " على طريق الشرق "، "
فهم القرآن " عند الشاعر " بلمونت " و أظهر "
غوغول " في كتاباته إعجابه بالحضارة العربية
الإسلامية. وأظهر " ليف تولستوي " اهتماماً
روحياً شاعرياً نحو الشرق، لقد عرف القرآن الكريم
وأجلّه، وحياة العرب، وشعوب إسلامية اخرى.

.....

أفكار من أجل حوار أفضل:

رغم أنَّ معظم أسس الحوار بين روسيا والشرق
العربي متوافرة، إلاَّ أنّ الواجب تفعيل هذا الحوار
بما يسهم في انفتاح الشعوب على بعضها وتعارفها
وتشجيع التواصل بينها بما يوفر سهولة انتقال
المعلومات في عصر تقدم تقنيات التواصل الحديثة،
وتعزيز أواصر التفاهم والتعاون بما يؤدي لصنع

السلام العالمي انطلاقاً من الإرث الحضاري القائم على الإيمان بالقيم الإنسانية والمثل العليا من احترام خصوصية كل طرف الروحية والفكرية والدينية واحترام الحق بالاختلاف وإحقاق الحق ونبذ التطرف والعدوان.

ولكي يتعمّق الحوار بين روسيا والشرق العربي يؤكد الباحثان الدكتور سهيل فرح والدكتور أليغ كولوبوف على ضرورة الأخذ بالأفكار العلمية التالية:

1_ تنشيط حركة الترجمة من الروسية إلى العربية وبالعكس من العربية إلى الروسية.

2_ توثيق الصلة بين الجامعات ومراكز الأبحاث العربية والروسية، وإنشاء مراكز أبحاث مشتركة.

3_ تأسيس مؤسسات حوارية ومؤسسات تعاون مشترك ودعمها وتشجيعها.

4_ تبادل زيارات مجموعة الشباب بين روسيا والعالم العربي عن طريق إقامة المخيمات الثقافية والسياحية.

5_ تنظيم معارض سنوية للفنون الروسية في العالم العربي، وللفنون العربية في روسيا.

6_ إرساء تعاون بين فرق الموسيقى والفنون الشعبية الروسية والعربية.

7_ تنشيط حركة التبادل الثقافي والسياحة (9).

وهكذا يساعد الحوار على التعريف وعلى نطاق واسع بكلتا الحضارتين، ويحقق التفاعل الحقيقي بينهما من أجل مستقبل إنساني أفضل يتحقق فيه التعاون بدل التنابذ، والتعاون بدل التصادم،

والتحاور بدل الانغلاق، والتسامح بدل التعصب.

أليس الحوار سمة العقل المستنير، والعقل سمة الإنسان خصَّه الله به وحده دون مخلوقاته الأخرى على سطح كوكب الأرض!

****

الهوامش والمراجع:

1_ بردييف. ن.أ، الفكرة الروسية، موسكو 1990، ص 443.

2_ الدكتور سهيل فرح/ الدكتور أليغ كولوبوف، حوار الحضارات، دار علاء الدين، دمشق 2008، ص204.

3_ بارتولد.ف، ثقافة الإسلام، موسكو 1992، ص 123.

4_ أ.ف. نازارنكو، روسيا والأرضي المقدسة في عصر الحملات الصليبية، انظر أعمال مؤتمر روسيا والشرق، منشورات جامعة البلمند 1998، ص 23.

5_ يوسف أسعد داغر، صفحة مجهولة من تاريخ التعليم في سوريا ولبنان وفلسطين، انظر المدرسة المسكوبية، مكتبة السائح، طرابلس، ص 5_4.

6_ الدكتور سهيل فرح / الدكتور أليغ كولوبوف، مرجع سابق، ص 321.

7_ المرجع السابق، ص 330.

8_ المرجع السابق نفسه، ص 342.

9_ نفسه، ص 214.

****

الفصل السادس
من جوانب أزمة الثقافة العربية وآثارها على الحِوَار معَ الغَرب

الفصل السادس

من جوانب أزمة الثقافة العربية
وآثارها على الحِوَار معَ الغَرب

جاء اختيار الكلمة العربية (الثقافة) من كلمة تثقيف الرماح، القريبة من معنى الحذق، حيث إنها تستخدم في حذق الإنسان أو الفرد للمعارف والفنون، أي إجادة شتى أنواع المعرفة من الفنون أو العلوم أو الأدب وغيره. أما الثقافة بالمعنى التقليدي فتعني النتاج الفكري والأدبي والفنّي. ويتصل مفهوم الثقافة على نحوٍ وثيق بمفهوم الحضارة التي تمثل القيم الثقافية المحققة في هذه الحضارة، ولذلك استخدم العلماء لفظتي الثقافة والحضارة بمعنى أو مفهوم واحد منذ نهاية القرن الثامن عشر.

((وقد وقع بعض الدارسين في أخطاء التفرقة بين الجانبين المادي والمعنوي للحضارة، وكان قد لجأ إليها العلماء لأسباب نظرية وعلمية، فرأى بعضهم، خطأً أنَّ الثقافة هي الجانب المعنوي في الحضارة كاللغة وما إليهما، بينما يمثل مفهوم الحضارة الجانب المادي الملموس منها كمظاهر العمران والصناعات والأدوات.

ومنهم من لجأ إلى تقسيم الثقافة، وهذا أكثر صحة، إلى جانبين: ثقافة مادية، وثقافة غير مادية)).

ويُعتبر تعريف الأنثروبولوجي الشهير (إدوارد تايلور) من أكثر التعاريف الشاملة التي تربط بين مفهومي الثقافة والحضارة، وبالتالي من أكثر التعريفات تمثيلاً لمضامين الحِوَار الثقافي الإعلامي. يقول " تايلور ": ((إنَّ الثقافة أو الحضارة بمفهومها الواسع – هي ذلك الكل المركّب، الذي يشتمل

على المعرفة والعقائد والفنّ والأخلاق والقانون والعادات وغيرها من القدرات التي يكتسبها الإنسان، بوصفه عضواً في مجتمع)).

وينطوي تعريف " هيجل " لمفهوم الثقافة على أهداف إنسانية يتسامى إليها البشر لاستيعاب روح العصر.

يرى " هيجل " أن ((مفهوم الثقافة يحمل معنى واسعاً يمتد ليشمل كل ما ينتجه الإنسان، ابتداءً من التقنية حتى الشِّعر، بما في ذلك السياسة والدين والفلسفة)).

ومما لا شك فيه أن مفهوم الثقافة الذي نقصده في بحثنا وثيق الصلة بمفهوم الحضارة من حيث هي نتاج لمجمل الثقافات الإنسانية.

الثقافة العربية الإسلامية:

تعد الثقافة العربية مقوّماً أساسياً من مقومات شخصية الأمة وهويتها وحضارتها، وتتميز بالانفتاح

على الثقافات الأخرى والتمازج معها، حيث اغتنت وأغنت بتفاعلها مع سائر الثقافات العالمية الأخرى، وساهمت مساهمة فاعلة في تقدم الحضارة الإنسانية المعاصرة.

ولا يمكننا عزل الثقافة العربية بحالٍ من الأحوال عن الثقافة الإسلامية التي يُعرِّفها بعض العلماء بأنها ((كلّ معرفة إسلامية تتصل بمصادر الإسلام وهي "القرآن الكريم والسُّنة" أو تتصل بقضايا المجتمع المسلم واهتماماته المتعددة، أو تتصل بأرضه أو تاريخه أو لغته وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، فهي تحمل طابع التراث العريق الذي ظلَّ قائماً على مسيرة المعرفة الإنسانية طيلة عدة قرون)).

وتمثل الثقافة الإسلامية شخصية وهوية وحضارة الأمة العربية.

أزمة الثقافة العربية:

تعاني الثقافة العربية من أزمة ذاتية وتحديات خارجية تؤثر على ثقافة الحِوَار وقضاياه، يمكن تلخيصها فيما يلي:

1–الأزمة الذاتية للثقافة العربية:

تعاني الثقافة العربية أزمة ذاتية قديمة وحديثة لها جوانبها المتعددة، ويرى المفكر الرَّاحل الدكتور " عبد الله عبد الدايم " أن أبرز هذه الجوانب هي:

أ–الثقافة العربية الإسلامية لم تنجح (منذ أكثر من قرن حتى اليوم) في صنع حداثتها لأسباب كثيرة أهمها عدم الإدراك الواضح للفرق بين التحديث والتغريب.

ب–الثقافة العربية من أعرق الثقافات في العالم. وهذه العراقة تمنحها القوة والقدرة على البقاء، ولكنَّها كثيراً ما تكون (حين لا يُفهم دورها فهماً حقيقياً) عبئاً ثقيلاً معرقلاً للتجديد والتجويد والتحديث.

ت–ازدهار الثقافة العربية الإسلامية ينتسب إلى ماضيها البعيد منذ ظهور الإسلام بوجه خاص. وأوج تفتحها وعطائها الحضاري انقضت عليه خمسة قرون على أقل تقدير. وهذه الحقيقة تخلق نوعاً من الانتماء الماضوي والنَّزعة الماضوية يصبح التجديد في إطارها أصعب منالاً.

ث–المشاركة الجماهيرية في بناء الثقافة العربية الحديثة المرجوة لا تزال محدودة جداً.

ج–محاولات تحديث الثقافة العربية الإسلامية لم تتم في معظم الأحيان من داخلها، بل تمت غالباً بحكم الاصطدام بالثقافة الغربية ومحاولة تقليدها حيناً ونبذه أحياناً أخرى.

ح–الكثيرون من المثقفين العرب حين يخططون لنهضة الثقافة العربية لا يخططون لها تخطيطهم لبديل يجب تشييده انطلاقاً من الحاضر في ضوء

مكوناتـه وحاجاتـه، وإنمـا يخططـون لهـا مـن نمـاذج جاهزة آخذة في الابتعاد عنهم باستمرار، وهي:

– النموذج الإسلامي في شكله الموغل في القدم.

– النمـوذج الغربي الـذي يـزداد مـع الـزمن بُعداً في المستقبل بصورة تجعل احتمالات اللحاق به تنعدم أمام اطّراد التطور اللا متكافئ.

2–التحديَات الخارجية المعاصرة

فضـلاً عـن الأزمـة الدَّاخليـة الـتي تعانيهـا الثقافـة العربية، يفتكُّ في عضد هذه الثقافة ويضاعف من أزمتها ما تواجهه من تحديات خارجية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

أ–تحديات العولمة التي كرَّسنا لها الفصل القادم.

ب–معارضة الغرب قديماً وحديثاً لي مظهر حقيقي من مظاهر تقدّم العرب وتطورهم.

ت–((النظام العالمي الجديد – بعد الحرب الباردة – أخذ يوجس خيفة من الثقافة العربية الإسلامية

وأخذ يتحداها تحدّياً سافراً ومباشراً, تحت ذرائع مختلفة, الأمر الذي كثيراً ما يولّد لدى أبناء هذه الثقافة ردود فعل مغالية تجنح إلى التقوقع والانكماش وإلى احتماء الذات العربية بجلدتها وإهابها التقليدي المألوف)).

ث–نجاح الغزوّ الثقافيّ الغربيّ إلى حدٍّ بعيد في اختراق النسيج الاجتماعي والثقافي والاقتصادي العربيّ، ونجاحه أيضاً، إلى حدٍّ بعيدٍ في اختراق النخب الثقافية العربية، الأمر الذي يرسّخ مفهوم التفوق الثقافي الغربي على الثقافة العربية ويكرّس التبعية والاستتباع الثقافي العربي لثقافة الغرب، وهذا يقلل فرص الإبداع، ويشوّه التراث، وينشر ثقافة الاستهلاك والتقليد.

ج– ((عدم إدراك العرب للارتباط المتبادل بين الثقافة والعلم الحديث, وعدم اندماج العلم في حياة المجتمع المادية و الفكرية والروحية)).

ح– ((التغيّر السَّريع والمذهل في المعرفة في عصرنا. فالمعلومات كما تشير الإحصاءات – وكما بيّن تقرير نشرته جامعة (Mit) الأمريكية، تتضاعف الآن خلال فترة تتراوح بين 18 شهراً و24 شهراً. غير أن هذه الفترة –كما تبيّن الإحصاءات أيضاً– سوف تتضاءل في نهاية العقد الأول من القرن الحالي فتبلغ أسبوعين أو ثلاثة أسابيع. وهكذا فالأميُّون لن يكونوا أولئك الذين لا يعرفون القراءة والكتابة، بل هم أولئك الذين لا يعرفون التعلُّم ثم نسيان ما تعلموه ثم التعلُّم من جديد)).

أزمة الثقافة العَربية والحِوَار معَ الغَرب:

إنَّ الحِوَار مع الغَرب ثقافياً يطرح مجموعة من الأسئلة، من أهمها:

كيف يُحَاوَرُ الغَرب ثقافياً في ظل أزمة ثقافية عربية حادة، متعدِّدة الجوانب، في التعليم، والخطاب

الاجتماعي والسياسي، ومحددات الإبداع والإنتاج البشري؟

وقد أدركت النُّخب الثقافية العربية عمق المأزق الكبير فتنادت منذ وقت مبكر من القرن الماضي إلى طرح تصوراتها لرسم مشروع ثقافي عربي يواجه المخاطر الكبيرة الناجمة عن أزمة الثقافة العربية، ومن ذلك مشروع المفكر الكبير " طه حسين " الذي حدده بشروط أربعة هي:

((1–أن تكون إنسانية لتكون طرفاً فاعلاً في ثقافة البشرية دون تعصب أو تحيّز عرقيّ، مما يعني أن تكون ثقافة مؤمنة بالحِوَار والتسامح والتفاعل مع ثقافة الآخر.

2–أن تكون عقلانية، أي تحتكم إلى العقل في الفهم والتقدير لأمور الدنيا معاشاً وسياسة، ومن ثم لا تخضع لجمود متعصب أو تسلط جامد، وهي في

ذلك تتخذ من العلم والتفكير العلمي مناطاً للتطور الدنيوي في جوانبه المختلفة.

3–أن تعتمد الحرية أساساً لاختيار الفكرة الخلاّقة والفعل السياسي والاجتماعي النابذ للاستبداد دون وصاية من بشر على بشر، ودون خوف من الاختلاف أو حتى الخطأ حين الاجتهاد.

4–أن تتمسك بالعدالة شرطاً لنشر الثقافة، العدالة الاجتماعية التي لا تحرم عقلاً من الثقافة لرقّة الحال أو ضيق اليد.

ورغم مرور أكثر من ستة عقود على مشروع الدكتور " طه حسين " لإنقاذ الثقافة العربية ما زالت الأزمة تتفاقم بشكل مستمر ؟!

ولذلك عقدت الكثير من المؤتمرات لمواجهة هذه الأزمة، ومنها مؤتمر " مستقبل الثقافة العربية " الذي عقد بالعاصمة المصرية في الفترة من 11–14 مايو 1997 برعاية وزارة الثقافة المصرية

والمجلس الأعلى للثقافة بمصر. ومؤتمر " الثقافة العربية: نحو خطاب ثقافي جديد، من تحديات الحاضر إلى آفاق المستقبل" , والذي عقد بالقاهرة في الفترة من 1–3 يوليو 2003م ... الخ.

وقد أكدت هذه المؤتمرات وسواها على أن الظروف التي تمر بها المنطقة العربية تفرض على المثقفين العرب وأصحاب الفكر والرؤى في الأمة أن يطرحوا من الحِوَارات الجادة وأن يستخرجوا من الرؤى الموضوعية ما يعين على اكتشاف آفاق المستقبل ومُحَاورة الآخر.

إنَّ الثقافة العربية مدعوة إلى التغيير الذي يعمّق التفهم والتفاهم بيننا وبين الآخرين ويقيم جسور الحِوَار والتعاون بين أمتنا والأمم الأخرى، ويحقق التطور والتقدم والتنمية لمجتمعاتنا العربية والإنسانية جمعاء.

إنَّ أُسَّ الأســس في محاورتنــا للغــرب ثقافيــاً أن نستثمر التوجّـه الإنسـاني للثقافـة العربيـة كعنصـر محـاورة وتكامـل في خارطـة الثقافـة العـالمي، لا أن نتجه نحو الانغلاق على الذات خوفاً على هُوِيَتنا العربيـة، لأن الخـوف الأكـبر علـى هُوِيَتنـا العربيـة ووجـودنا الحضـاري يكـون في تقّلـص ثقافـة الحِوَار والتفاعل مع العالم ثقافياً وإعلامياً وحضارياً.

إنَّ الثقافــة العربيــة مــدعوة اليــوم لتجديــد ذاتهــا وتحـديث مضـمونها وتطـوير خطابهـا لتقـوم بـدورها المحوري في الحِوَار الهادف والصادق مع الآخر.

فالثقافـة تبـني الحِـوَار وتَنبَـني علـى تفاعـل معطياتـه وتكامل عناصره.

مُرَاجَعَات وخطوات لابدَّ منها للتوازن الثقافي مع الغَرب:

لكي نتمكن من الحِوَار الهادف والنِّدي مع الغَرب لابدَّ من تحقيق التوازن الثقافي معه، ولا يتأتى ذلك

إلاَّ عبر مراجعة شاملة لمنظومة الثقافة العربية تعقبها خطوات عملية منها:

1-دراسة فكر الأمة منذ تأسيسها على يد رسول الله ﷺ ومصادره وتطوره، ورصد مَوَاطن القوة والضعف في هذا الفكر، لتحديد بداية الأزمة الفكرية وتطورها وتحديد وسائل ومناهج معالجتها.

2-إعادة بناء النَّسق الثقافي المعاصر لهذه الأمة بالقراءة الفاحصة المتأنية الدقيقة لمصادر ثقافتها (الكتاب والسُّنة، وتاريخ الصَّدر الأول) ثم قراءة التراث الإسلامي وتحليل قضاياه ورصد مناهجه ووسائله.

3-قراءة التراث الإنساني المعاصر: مصادر مكونات، مقوماته، فلسفته، أهدافه، آثاره، نتائجه، ماله، وما عليه.

4–التوصُّل إلى منهجية إسلامية سليمة، قادرة على التعامل السليم مع كل هذا، وإعادة تشكيل العقل السليم)).

5–((الثقافة العربية الحقة لا تتم عن طريق القطيعة مع التراث, بل تتم من خلال استيعابه والانتظام فيه من أجل تجاوزه ومن أجل القفز منه إلى تدشين العمل من أجل بناء تراث جديد سيكون هو الحداثة نفسها)).

6–بذل جهود كبيرة في مجال الثقافة بوجه عام وفي مجال التربية بوجه خاص بغية إعداد المواطن العربي إعداداً ثقافياً وتربوياً ليتكيف تكيّفاً إبداعياً مع مختلف متغيرات العلم والمعرفة المتسارعة والمتلاحقة.

7–تنمية روح النَّقد والبحث العلمي والقدرة على التفكير الفعّال.

8–التركيز على الجوانب العلمية والتقنية.

النهضة الثقافية والحِوَار

توفر الثقافة الحيّة شروطاً معرفية متجددة، تفتح آفاقاً واسعة للحِوَار مع الآخر, وتعمل على تنوير العقول والقلوب.

وتشكل النهضة الثقافية ركيزة أساسية ودعامة هامة من دعائم الحِوَار، لأنها تعني إيجاد الحلول للتحديات المعاصرة على قاعدة الجانب الإيجابي من التراث العقلاني. ((فالنهضة الثقافية تتطلب فهماً علمياً دقيقاً للثقافة في علاقتها بالبنية الاجتماعية السائدة. فضرورة التغيير الثقافي الجذري تعني أن آفاق التقدم قد سُدَّت أمام الثقافة السائدة)).

إنَّ على الثقافة العربية – كما يرى المفكر الرَّاحل عبد الله عبد الدائم – ((أن تتحرر من صراع الاجتهادات والمذاهب وتتخلص من عقدة الغرب وتفصل بين التغريب والتحديث)).

وبذلك تنبثق ثقافة عربية نهضوية تجمع بين الأصالة والحداثة، وتشكل إطاراً منتجاً وفعَّالاً للتفاعل الخلاّق مع ثقافة العالم الغربي وسائر الثقافات السَّائدة في العالم.

وتعد النهضة الثقافية العربية بيئة خصبة لنجاح الحِوَار مع الذات، ومن ثم الحِوَار مع الآخر، فضلاً عن كونها قاعدة صلبة يستحيل اختراقها أو تجاوزها.

وهكذا فالعلاقة وثيقة بين النهضة الثقافية العربية وبين الحِوَار الثقافي والإعلامي مع الغرب.

ولعلَّ أحد أهم إشكالات الحِوَار القائمة حالياً بيننا وبين الغرب تتعلق بغياب التوازن الثقافي والمعرفي.

فالفجوة الثقافية تترك أثرها على الحِوَار وَتُصَدِّعَه، فتتسع الهوّة بين الأفكار والمفاهيم والقيم والمواقف والرؤى، وتتباعد المشتركات وتنأى القواسم ويضمحل الناجم العَملي للحِوَار بين الطرفين.

المراجع والمصادر:

[1] – الحازمي, د. منصور: ندوة الثقافة ماهي, جريدة الجزيرة (السعودية) , العدد 3700, المحرم 1403 هـ .

[2]– إسماعيل , د. زكي محمد: الأنثروبولوجيا والفكر الإسلامي, شركة مكتبات عكاظ , الرياض.

[3] – شتا, د. السيد علي: نظرية الاغتراب , دار عالم الكتب , ط1, 1404هـ– 1984م .

[4]– مجلة العربي (الكويتية), العدد 538, سبتمبر 2003م, ص11.

5_ عبد الدائم, د. عبد الله: العرب والعالم وحوار الحضارات, دار طلاس, ط1, دمشق 2002م.

[5] – الجابري, محمد عابد: المسألة الثقافية, سلسلة الثقافة القومية, 25 , قضايا الفكر العربي, 1 , مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت 1994م.
[6]– ضاهر, د. مسعود: مجابهة الغزو الثقافي الامبريالي الصهيوني للمشرق العربي , منشورات المجلس القومي للثقافة العربية, ط1, المغرب 1989م.

****

الفصل السابع

الشرق في عيون الغرب
والغرب في عيون الشرق

" ثنائية الافتراق والاقتراب"

الفصل السابع

الشرق في عيون الغرب
والغرب في عيون الشرق
" ثنائية الافتراق والاقتراب"

حظيت ثنائية الشرق/الغرب بمئات الأبحاث والدراسات في المنظور السياسي أو التاريخي أو الدّيني أو الثقافي. وما ذلك إلاّ تأكيداً لأهمية العلاقة التاريخية بينهما. وبالمعنى المتداول المألوف لهذين المصطلحين فإنهما لا يعنيان شيئاً من الناحية الجغرافية، فلا الوطن العربي يقع شرق أوروبا، ولا أوربا تقع غرب الوطن العربي. وسنحاول مقاربة هذين

المصطلحين من خلال مفهوم كل منهما وتصوراته تجاه الآخر.

مصطلح الشَّرق

الشرق اسم أطلقه الأوروبيون الكاثوليك على البلاد التي كانت خاضعة للإمبراطورية البيزنطية، ومن ثم أطلقه الأوروبيون على بلاد الإسلام فيما بعد " وكان مدلول المصطلح يضيق، فلا يشمل إلاّ سورية ومصر وبلاد الرافدين، ويتسع ليشمل بالإضافة إلى ما سبق شبه الجزيرة العربية، وفارس وتركيا، ثم امتد في مراحل لاحقة، ليشمل، الهند والصين واليابان، وما إليها من بلدان آسيا"(1).

ويذهب " برنارد لويس " إلى أنّ المقصود بالشرق غالباً " الشرق الأصلي " التقليدي " القديم، الذي كان الجار

والمنافس لأوروبا اليونانية والرومانية، ثم لأوروبا المسيحية، منذ أن قامت جيوش أحد كبار الأكاسرة الفرس باحتلال اليونان، إلى أيام انسحاب مؤخرة جيوش العثمانيين"(2).

مصطلح الغرب

الغرب هو الاسم المقابل للغرب. يقول " برنارد لويس ":" لقد اعتدنا نحن الأوروبيون منذ مدة أن نطلق على مجموعة البلاد التي ننتمي إليها، اسم الغرب، ولم يعد هذا التعبير يعني وضعاً جغرافياً خالصاً، بقدر ما يعني ثقافياً واجتماعياً وسياسياً وعسكرياً"(3). ويضيف: "وفي الشرق الأوسط لم يستعمل تعبير _ الغرب

ـ بمعنى الكيان السياسي والثقافي، إلاّ منذ مدة قريبة، وربما يكون قد بدأ استعماله في الوقت الذي راج فيه تعبير الشرق الأوسط"(4).

الشرق في عيون الأوروبيين

عندما وضع " دانتي " النبي محمّد (صلى الله عليه وسلّم) والخليفة الراشدي الرابع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في الخندق التاسع من الحلقة الثامنة ـ في الجحيم الداتنتي ـ(5)، ووضع ابن رشد وابن سينا في " ميناء جهنمه " فهو لم يكن يعبّر عن موقفٍ شخصي فقط بقدر ما كان يعبر عن تصوّر ذهني غزلي سلبي ضد الإسلام والمسلمين. ففي العصر الوسيط تحديداً تشكلت في الوعي الجمعي المسيحي القوالب النمّطية السّلبية الشوهة

عن الإسلام بارتباط مباشر مع موقف الكنيسة السلبي من الإسلام. ولم يكن ذلك التصوّر السّلبي النّمطي المشوه عن الإسلام نتيجة ضعف معرفة الأوروبيين، ولكنها في غالب الأحيان نتيجة تشويه متعمد وترجمة غير نزيهة للنصوص الإسلامية. وقد تطورت بعد ذلك النظرة الأوروبية إلى الإسلام والشرق، " فأصبحت تعني حضارة مغايرة، بغض النظر عن القيمة التي تُعطى لها، وصارت النظرة العامة الشَّعبية، تتراوح بين الشرق المدهش، شرق ألف ليلة وليلة، وبين الشرق المتوحش، البربري، الفظ، العنيف، ولم تتغير النظرة الأوروبية إلى الإسلام باعتباره ديناً متعصباً، عدوانياً، حتى جاء القرن الثامن عشر عصر التنوير الأوروبي،

حيث حاول الأوروبيون _ النخبة منهم _ الاقتناع بفكرة تساوي الطاقات الكامنة في الثقافات المختلفة، لتحقيق ما هو إنساني "(6). ورغم أنّ القرن الثامن عشر يمثل بداية عصر التنوير والنظرة الموضوعية _ نسبياً _ إلى الإسلام والمسلمين، إلاّ أنه وجد من بين عمالقة الفكر والأدب الأوروبي من بقي أميناً للنظرة " القرو وسطية " السَّلبية " للإسلام والمسلمين. ومن هؤلاء " فولتير " الذي أطلق من الأحكام العدائية ضد الإسلام، وخاصة ما جاء منها في كتابه " محمّد و التعصب " و " فولني " الذي ركّز على فكرة محورية فحواها أنَّ الإسلام هو دين العنف، وقد أثَّرت هذه النظرة السلبية المشوّهة لحقيقة الإسلام السمحاء في وسائل الإعلام

الغربية إلى يومنا هذا. وكذلك الحال مع " شاتوبريان " الذي كرّر أفكار القرون الوسطى السلبية والمشّوهة تجاه العرب والمسلمين.

وإزاء هذه النظرة السلبية ضد الإسلام يتخذ العديد من المستشرقين الكتاب والأدباء الأوروبيين مواقف منصفة من الإسلام والمسلمين، ولكننا سنتوقف عند ظاهرة الاستشراق محاولين استجلاء مواقف المستشرقون من العرب والمسلمين وحضارتهم، وسنجد أن أكثرهم يرون أن " ما في التاريخ العربي الإسلامي من أمجاد، ونقاط مضيئة لا يعود للإسلام إي فضل فيه، فإذا كانت امبراطورية الخلفاء عرفت عهوداً سنية، فإنما الفضل لرفد اليونان والفرس.... كان كل شيء يفسر بتأثير

خارجي، وكان الوضع الحالي، برهاناً مبيناً، على أنّ الإسلام متروكاً لنفسه لا يمكن أن ينجم عنه إلاّ مجتمعات متخلفة منغلقة.

وليس إلاّ أن نذكر كمثال بالآراء العجيبة، وبالافتراءات الصادرة بحق الإسلام عن ارنست رينان الذي أسهم مع ذلك في تعريف مكانة الإسلام في تاريخ الأفكار"(7).

وإلى جانب هؤلاء المستشرقين، الذين اتصفت أحكامهم بالشمولية والنظرة المسبقة وجد مستشرقون غربيون اتخذوا من الشرق موضوعاً لأبحاثهم فقرأوا الإسلام قراءة موضوعية منصفة.

نظرات معاصرة لانطباعات الغربيين عن العرب المسلمين

في كتابه القيّم " الإسلام والغرب في كتابات الغربيين " لخص الدكتور زغلول النجار آراء مؤلفي كتاب " شعور بالحصار " جراهام فوللر وإيان ليسر وانطباعاتهم عن الإسلام والمسلمين بما يلي:

" أشار الكاتبان إلى المظالم البشعة التي تعرّض لها المسلمون إبان حرب البوسنة والهرسك، وتقاعس الغرب عن حل المشكلة قد أديا إلى صحوة إسلامية كبيرة في منطقة البلقان أقلقت الأوروبيين.

وأشار الكاتبان إلى أن النمو المتصاعد للعامل الإسلامي في منطقة البلقان، ومع التقائه بالحركات الإسلامية السياسية عبر كل من الشمال الإفريقي والمشرق العربي، تتعاظم إمكانية الإسلام كقوة وحدوية في منطقة البحر المتوسط. وذكر الكاتبان أنه

على مدى أكثر من ألف عام ظل الخطر الإسلامي يمثل المشكلة الاستراتيجية الأساسية التي تواجه الأوروبيين.

وذكر المؤلفان أن التفاعلات بين الدول الأوربية المستعمرة وبين المستعمرات التي احتلتها بالقوة منذ القرن السادس عشر وحتى ما بعد عام 1945 كانت في الأساس تفاعلات بين الغرب والإسلام.

ويتخوف الغرب من سلسلة الأحداث المتلاحقة في العالمين العربي والإسلامي في الوقت الراهن. وخاصة من بروز القوى الراديكالية والأصولية الإسلامية" (8).

معضلات إسلامية تؤرق الغرب

يواجه الغرب عدداً من التحديات لسياساته الخارجية والأمنية، ومن هذه التحديات احتمال

بروز دور هام للإسلام في الشؤون الدولية، فضلاً عن معضلات أخرى يجملها الباحثان " جراهام فوللر " و " إيان ليسر " في كتابهما " شعور بالحصار " كما يلي:

الإسلام والديمقراطية وحقوق الإنسان.

_ هجرة المسلمين إلى الغرب وصعوبة تأقلمهم الاجتماعي مع الغربيين.

_ القومية والصراع العرقي بين المسلمين وغير المسلمين مثل أحداث البلقان وآسيا الوسطى.

_ علاقات الشمال والجنوب: الأغنياء والفقراء.

_ عدم استقرار العالم الإسلامي يشكل خطراً على النظام العالمي.

_ الحدّ من التسلح.

ـ انتشار الأسلحة والتوازن العسكري بين الشمال والجنوب.

ـ الوصول إلى الموارد النفطية.

ـ الإرهاب الدولي"(9).

هذه المضلات يضعها الغربيون كعقبات في طريق الحوار، ونحن نتحفظ عليها، ولنا فيها وجهات نظر، هي من أولى المهام المُلقاة على عاتق المحاور العربي والمسلم عندما يلتقي محاوره الغربي سواء في مؤتمرات الحوار وندواته أو على مقاعد الدراسة في الجامعات الغربية أو على صفحات التواصل الاجتماعي وشبكة الانترنيت.

....

الغرب في عيون العرب المسلمين:

رغم أنّ الغرب حاول على الدوام أن يقدم نفسه كقوة للحضارة والحداثة والديمقراطية، والتطور إلاّ أن العرب بعد تجاوزهم لمرحلة الانبهار بمنجزاته، أخذوا يرونه مكشوفاً على غطرسته واستبداده، وبالتالي كان رفض الصُّورة النمّطية المشوهة التي يحملها عنهم هي السمة الغالبة في نظرتهم إليه.

إنّ الشرق العربي كان في تكوينه لمفهوم الغرب أكثر موضوعية وانصافاً من كتابات بعض الرحالة الغربيين، فهو يريد قوة الغرب، علمه، ويرفض استبداده.

وقد أشار الباحث " محمد راتب الحلاق " في كتابه " نحن والآخر " إلى ثلاثة مواقف اتخذها المفكرون العرب فيما سمي بعصر النّهضة من العلاقة مع

الغرب، موقف الإعجاب، وموقف التماهي، وموقف الممانعة والمقاومة الإيجابية.

1_ موقف الإعجاب

وهذا الموقف شائع عند أصحاب المواقف الثلاثة، كل ما في الأمر " أنّ هذا الإعجاب وصل عند البعض إلى درجة تعطيل أجهزة المقاومة وفعاليات الوعي، في حين استنفر عند البعض الآخر الطاقات الإيجابية الكامنة لدى الأمة. وسبب الإعجاب _ في كل الحالات _ يعود إلى الانتقائية التي مارسها المفكرون " الشرقيون " دون إغفال للأسباب الموضوعية وما أكثرها وأكثر ما أثار الإعجاب، هذه القوة الجبارة التي امتلكها الغرب من بعد ضعف. وقد حاولوا جميعاً البحث عن سر هذه القوة كلٌّ _ بطريقته الخاصة _ وإن أرجعوها في

نهاية الأمر إلى أسباب ومنطلقات يفتقدها الشرق"(10).

2_ موقف التماهي بالغرب

وهو الموقف الذي يدعو صراحة إلى الالتحاق بالحضارة الغربية بصفتها حضارة كونية، فالذين يميزون بين الشرق والغرب يغضونَ الطرفَ عن حقيقة أنّ الحضارة الحديثة ليست أوروبية خالصة_ على الرغم من الظاهر والادعاء _ بقدر ماهي إنسانية وشاملة في مداها وانتشارها، بعيوبها ومحاسنها، فالحضارة الحديثة هي خلاصة تقدم وإنجازات الحضارات السابقة"(11).

ومن دعاة هذا التيار " سلامة موسى " الذي يتبنّى هذا الاتجاه ويعتبر خطابه تغريبياً بامتياز، يقول مؤكداً اتجاهه هذا " إذا كانت الشَّمس تشرق من الشرق، فإنَّ النور يأتينا من الغرب" (12).

وبمختصر القول يدعو أنصار هذا التيار للالتحاق بركب المشروع الحضاري الغزلي دون قيد أو شرط. وإذا كان التغريب قد قام به الغربيون أولاً، فإنَّ المتغربون العرب قد قاموا به ثانياً.

3_ الموقف المقاوم:

وهو الموقف الذي يأبى الانكماش على الذات " لأن إنكار الثقافة الغربية لا يستطيع أن يشكل في حد ذاته ثقافة، ولأن الرقص المسعور حول الذات المتفردة، لن يجعلها تنبعث في رمادها"(13).

ويرى دعاة هذا الموقف خير أوربا كما يرون شرها، ويدركون أن أوربا كما نفعتنا كثيراً خدعتنا كثيراً على حد تعبير عبد الحميد الزهراوي: " لا ينفعنا الجمود ومعاداة كل أشياء الأجنبي باسم الوطن، فإنَّ الوطن للبشر واحد: هو دار الأعمال والتكاليف التي تطلب من الكل، وتوزع على الكل

ويتبادلها الكل. وليس حب الوطن هو الكر على عادات الأسلاف .... هذا ولا ينفعنا أيضاً تقليد كل أشياء الأجانب باسم التمدن، فإنَّه لا عصمة لأمة من الخطأ، ولا يستحق أحد أن يقلد تقليداً محضاً، بل علينا أن نستعمل التفكر، ونستهدي التجارب، ونساعد في تأييد أنفع الروابط للتكامل البشري، يومئذٍ ستنقسم الأرض الطبيعية غير هذا الانقسام الصناعي، ويصافح المشرقي المغربي، والشمالي الجنوبي، على أنهم إخوان، متعاونون في العلوم، متقاسمون للأعمال عام، وتعاون عام، ونظام، ووطن عام، وسلام عام في ظل قوة عامة" (14).

إنّ الفكر المقاوم الذي يرى خير أوربا ويرى شرها، فيأخذ من خيرها، ويتجنَّب شرها ما استطاع، هو أقرب المواقف إلى المنطق.

الشرق العربي يُقلّد الغرب

مثلما رأينا الأوروبيين القدامى تحضروا على أيادي المسلمون في كافة مجالات الحياة فإنَّ الشرق العربي بعد أفول شمس حضارته الزاهرة أخذ " يقلّد الغرب ومازال يقلّده" كما يقول الباحث حسن حسني عبد الوهاب (15).

بعد أن أصبح الشرق العربي، ومن منذ زمن طويل يدرك ما يعوزه ويرغب بعد أن أصبح متأثراً بالنظم المعرفية والتقنية والثقافية الغربية، حيث أثَّر في النظام المعرفي والاجتماعي الذي يساهم في بلورة الفكر ... وهكذا واقع الشرق العربي في محاولته اللحاق بركب الحضارة الغربية في شراك التقليد الذي يصل لدرجة التقليد الأعمى، وهذا مصيبة كبرى كما يراها المفكر عبد الوهاب بوحديبة في كتابه " لا فهم "(16).

معضلات يفرضها الغرب على العرب والمسلمين:

يرى الكاتبان " جراهام فوللر "، و " إيان ليسر " (17) أنَّ العالم الإسلامي يشعر بأنّه يعيش تحت حصار فرضه عليه الغرب في العديد من المجالات الحيوية التي منها: المجالات السياسية، والعسكرية، والثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية.

ومن أهم المعضلات المعاصرة التي يفرضها الغرب على العالم الإسلامي:

1_ الضغوط السياسية للغرب على المسلمين، ومنها ما كان بسبب تحيزهم ودعمهم للاحتلال الإسرائيلي على حساب الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، ولعلَّ ليس آخرها اعتراف الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بالقدس عاصمة لإسرائيل ونقل سفارة بلاده إليها من تل أبيب.

2_ الخلافات الاقتصادية بين العالمين العربي والإسلامي، وما كانت منها بسبب عدم المساواة والعدل منها ما يتعلق باستغلال موارد الطاقة العربية، ومنها ما يتعلق بشروط صندوق النقد الدولي والبنك الدولي المجحفة بمصالح العربية والإسلامية ومحاولات الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية العمل مجدداً على عودة أشكال الاستعمار بصورة جديدة.

3_ مشكلة المجتمعات المحلية الإسلامية في بلاد الغرب، فيما يتعلق بالاندماج ومصاعبه وما ينجم عنه من مشاكل تتعلق بحقوق المسلمين الموجودين هنالك واحترام عاداتهم وشعائرهم الدينية.

وهكذا تظل ثنائية الشرق والغرب/ العرب والغرب موضوعاً هاماً للعديد من الأبحاث الجادة

التي ترتكز عليها وتنطلق منها كل قضايا الحوار البنّاء بي الطرفين.

****

الهوامش والمراجع:

1_ محمد راتب الحلاق، نحن والآخر، اتحاد الكاتب العرب، دمشق 1997، ص 11.

2_ برنارد لويس: الغرب والشرق الأوسط، ترجمة نبيل صبحي، ص 2.

3_ المرجع السابق نفسه، ص34.

4_ نفسه، ص 36.

5. دانتي، الكوميديا الإلهية، ط2 ، دار المعارف ، القاهرة 1955، ص 371.

6. لويس غارديه، أهل الإسلام ، ترجمة صلاح الدين برمدا، وزارة الثقافة، دمشق 1981، ط1 ، ص 327.

7_ المرجع السابق نفس، ص 338.

8_ الدكتور زغلول النجار، الإسلام والغرب في كتابات الغربيين، شركة نهضة مصر، ط4، سبتمبر 2005، ص 41، 42، 46، 48، باختصار.

9. المرجع السابق نفسه، ص 113.

10_ محمد راتب الحلاق، نحن والآخر، مرجع سابق ،ص 36.

11_ الخطيب، محمد كامل: الإصلاح والنهضة، وزارة الثقافة، دمشق 1992م، ص 16.

12_ سلامة موسى، الأدب للشعب، الأنجلو للطباعة، القاهرة 1956، ص12.

13_ عبد الله العروي، الأيديولوجية العربية المعاصرة، بيروت، ص57.

14–عبد الحميد الزهراوي، نظام الحب والبغض، مجلة المنار، المجلد السادس، ص 775.

15_ محمد العابد مزالي، شؤون الثقافة ومشاكل التعليم، مجلة المباحث، العدد السابع، 7 أكتوبر 1947، ص 7.

16_ عبد الوهاب بوحديبة، لا فهم ، تونس 1975، ص13.

17–الدكتور زغلول النجار، مرجع سابق، ص122.

****

الفصل الثامن
دَور الكِتَابات الغَربية المنصِفة
في تصحيح
الصُّورة النَّمطية عن العرب والمسلمين

الفصل الثامن

دَور الكِتَابات الغَربية المنصِفة في تصحيح الصُّورة النَّمطية عن العرب والمسلمين

لا يمكن لبحثٍ يدّعي الموضوعية والتوازن أن يتجاهل الكثير من الكِتَابات الغَربية التي أنصفت العرب، سواء أكانوا رحالة أو كتَّاباً أو أُدباء.
ويمكن لهذه الكِتابات المنصفة أن تلعب دوراً هاماً في تصحيح الصّورة النّمطية السّلبية عن العرب في الذِّهن الغربي وتساهم بفاعلية في دعم مسيرة الحِوَار العربي – الغربي في مختلف المجالات الثقافية والدينية والسياسية والإعلامية.

لقد وُجِدَ في كل القرون ومن كل الثقافات شخصيات حرَّة لا تساوم على الحقيقة، ولا تتخلى عن الموضوعية، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

1-جورج سيل:

يعتبر جورج سيل (1697 – 1736) أول مستعرب انكليزي متحرِّر نسبياً من الغرض الدينيّ، كان يوصف أنه نصف مسلم، اشتهر بترجمته للقرآن الكريم التي نشرت عام 1734.

واتخذ سيل مواقف منصفة في كتاباته من العرب ودينهم وحضارتهم ([1]).

2-رتشارد برتون:

من أكثر الرَّحَالة الأجانب الذين زاروا الوطن العربي في منتصف القرن التاسع عشر، نشاطاً وكتابة، تميَّزت كتاباته بدقتها المنهجية وصدقها وواقعيّتها ودفاعها عن شخصية الإنسان العربيّ ([2]).

3–ولفريد. إس . بلنت:

دافع الرَّحَالة "ولفريد إس . بلنت" (1840 – 1922) عن العرب والإسلام، إذ كان خلافاً لأغلب المستشرقين والرَّحالة متحرِّراً من الأهواء الدِّينيّة. كان الإسلام برأيه قوة إيجابية أسهمت بمعرفة قيِّمة للإنسانية ([3]).

4–الكاتب المسرحي "جورج برناردشو":

أعجب " برناردشو" بالحضارة العربية الإسلامية وبالنّبي الكريم محمَّد ﷺ, وممّا قاله في هذا الصدد : ((قرأتُ حياة رسول الإسلام جيداً مرات ومرات, ولم أجد فيها إلاَّ الخُلق كما يجب أن يكون, وأصبحت أضع محمَّداً في مصاف, بل على قمم المصاف من الرجال الذين يجب أن يُتَّبعوا, ولمّا قرأت دين محمّد أحسست أنَّه دين عظيم.

لقد مضت على الغرب القرون وهو يقرأ كتباً وجرائد مليئة بالأكاذيب عن الإسلام والعرب، أمَّا

اليوم ففطن رجال الغرب إلى أن الإسلام الحقيقي ليس الذي عرفوه من كتب قرأوها من قبل)) ([4]).

5–المستشرق الألماني الدكتور "وايل":

الدكتور "وايل" هو أستاذ اللغات الشرقية ومدرّس العربية والسريانية في جامعة باريس. قال في كتابه ((تاريخ الخلفاء)): ((إنَّ أقوال المغرضين وآراء المتعصبين كانت وما زالت تتوجه إلى العرب والمسلمين، وأن الغَرب الصّليبي الاستعماري حرص منذ قرون على مواجهة الإسلام وتشويه صورته وتجريح نبيَّه محمَّد ﷺ ([5]).

6–الكاتب البريطاني "دوانبورت":

قال الكاتب البريطاني الكبير جان دوانبورت: ((أعتذر عن التصورات والأوهام التي كانت شائعة في الغرب عن العرب والمسلمين ([6]).

7–الصحفي الأمريكي نيكولاس هوفمان:

كتبَ الصحفي الأمريكي Nicholas Van "Hoffman": من صحيفة ((واشنطن بوست)): ((لم تُشوَّه سمعة جماعة دينية أو ثقافية أو قومية أو يحط من قدرها بشكل مركَّز ومنتظم، كما حدثَ للعرب)).

وفي السياق ذاته كتبت رئيسة تحرير صحيفة "the naw Republic":((العرب ضحايا نمطية جذرية مسبقة. وعندما يكون الرأي منحازاً سلفاً ولا رجوع عنه، فإنَّه يصبح أكثر انتماءً وقرباً إلى – التوضيب – منه إلى التفكير)) ([7]).

8–الكاتبة الأمريكية "نيغرين فيلد":

بيّنت الكاتبة الأمريكية NegGreen Field : المسؤولة عن صفحة الرأي في صحيفة الواشنطن بوست, آلية تكون الصورة المعادية للعرب بقولها : ((نحن نسيء فهم العرب, الأمر الذي يؤدي إلى التقديم الكاريكاتيري لهم, وتشويههم والسّخرية

مـنهم، ثمـة عمليـة لنـزع الصِّـفة الإنسـانية عـن العرب)) ([8]) .

9-الصحفي الانكليزي "أرسكن تشيلدرز" ([9]):

الصَّحفي والكاتب الانكليزي " أرسكن تشيلدرز " مـن الصّـحفيين والكتّـاب الأوفيـاء للعـرب الـذين دافعوا عـن قضـاياهم في مؤلفـات عـدة، منهـا علـى سـبيل المثـال:" الطريـق إلى السـويس " و " بعـض المنطق عن العرب ".

قـال في محاضـرة ألقاهـا في هولنـدا في مطلـع عـام 1967 بدعوة من جمعية الصَّداقة الهولندية العربية بمناسبة عشر سنوات على تأسيسها: ((لقد كانت صـورة العرب والمغاربـة والمسـلمين في الغَرب تتسـم بالقـوة والحـقّ في وقـت سـبق كثـيراً ظهـور الإمبراطوريات الغربية التي نشأت آسيا وإفريقية)).

ويضـيف " تشـيلدرز ": ((كثـيراً مـا راودتـني فكـرة وضـع فلـم عـن العرب، وأنا أقف في ميدان ترفلغر

في لندن. لو قدر لي هذا، فإنني سأهز أوصالَ كلَّ المتفرجين، بريطانيين وغربيين على السَّواء. سأخبر الحاضرين بأن ميدان ترفلغر عربي الأصل " الطرف الأغر"، وأن الشيكات التي تتعامل بها البنوك الكبيرة الموجودة في ذلك الميدان استمدت تسميتها من كلمة عربية، وأن الأرقام التي تحملها من اكتشافات العرب، وأن المجاري تحت ذلك الميدان اقتبست من مجاري بغداد وقرطبة عندما كانت لندن وأية مدينة أخرى مجرد أكداس من الطين والأوساخ، وأن لقب أدميرال الذي عرف به نلسون كلمة عربية الأصل. وسأُدهش الحاضرين أكثر عندما أبلغهم أن الماء الصاعد من نوافير الميدان ماء صاف بفضل انتصارات العُلماء العرب القُدامى في ميدان الكيمياء)).

ويخلص " شيلدرز " إلى نتيجة هامة مفادها: ((المؤسف أن صورة العرب الحالية في أذهاننا سلبية

وغبية فنحن لم نصل إلى ما وصلنا إليه إلاّ بفضل العرب لأنَّ اتصالنا بهم كان أطول وأوثق من اتصالنا بالشُّعوب الأخرى)).

10–الشَّاعر الألماني "غوته"

أراد الشَّاعر الألماني الكبير " يوهان وولفغانغ فون غوته " ربط الروح الشرقية بالروح الغربية ولذا ألّف كتابه الهام " ديوان الشرق والغرب " الذي أخذ شهرة عالمية وما زال رغم مرور " 185" عاماً على وفاته.

11–الفيلسوف الألماني " هردر "

اتخذ الفيلسوف الألماني " هردر " موقفاً منصفاً من الحضارة العربية، حيث يرى أنَّ العرب كانوا مصدر نور وإشعاع في العصر الوسيط، وهم في الوقت نفسه باعثو الحضارة الأوروبية.

12–المستشرقة الألمانية "آنّا ماري شيمل":

عَملت المستشرقة الألمانية " آنّا ماري شيمل " (1922 – 2003) على تحويل حِوَار الحضارات إلى شعار عالمي تبنته الدول والمؤسسات الدولية، حيث عملت وأنتجت وتحولت إلى سفيرة ثقافية في الحِوَار بين حضارة الشَّرق وحضارة الغرب ([10]).

ومن الكتّاب الغربيين الآخرين الذين أنصفوا العرب والمسلمين: مراد هوفمان, وتوماس كاريل, وتولستوي, واللورد هيدلي, وإميل درمنجم, والسِّير وليم موير, والفيزيائي ألبرت آينشتاين, والكسندر دوما, وجان جاك روسو, وسواهم.

تغيير الصّورة النّمطية السَّلبية عن العَرب وتَصحيحها أولى مَهَام الحِوَار

الحديث عن كيفية مُحَاوَرة الغَرب إعلامياً وثقافياً وشروط هذا الحِوَار وأهدافه وآلياته لا ينفصل عن دراسة صورة العَرب في الغَرب، وكيفية تغييرها

وإعادة تشكيلها وتَصحيح قوالبها السّلبية الرَّاسخة لدى الإنسان الغربي.

فقد يتطلب النجاح في إزالة الصُّورة النَّمطية التي رسخت عبر عقود طويلة في الفكر الشَّعبي الغَربي عن المسلمين والعرب المقدار نفسه من هذه العقود. وهي مسؤولية مشتركة تقع على عاتق المسلمين والعرب بمقدار ما تقع على عاتق الغربيين أيضاً.

إنَّ عدم مواجهة المفاهيم الخاطئة والصُّور النَّمطية السَّلبية عن المسلمين والعرب يرسّخها أكثر في ذهن الإنسان الغربي ويُعزِّز من نتائجها الكارثية المدمِّرة. وهذا يلقي بمسؤولية كبيرة على المسلمين والعرب أنفسهم حكومات ومؤسسات وأصحاب أقلام وفكر ليجدوا السُبل المُثلى لمُحَاورة الإنسان الغربي بالحكمة والموعظة الحسنة والمصالح المتبادلة.

وَاجبات الدُّول الغَربية في تغيير الصُّورة السَّلبية عن العَرب

تَستلزم عملية تغيير الصُّورة الذّهنية النَّمطية السَّلبية عن العرب ثلاثة متطلبات أساسية تشكل مجتمعة قاعدة ومنطلقاً لعملية تغيير شاملة تطال المجتمع الغَربي وحكوماته ومؤسساته ([11]):

– المطلب الأول:

أن توضح الدّول الغربية ما تسميه موقفها الجديد إزاء العرب والمسلمين وتبلوره في استراتيجيات وسياسات واضحة ومحدَّدة، تنطلق منها وسائل الإعلام أو تأخذها بعين الاعتبار في تغطيتها للقضايا العربية والإسلامية.

– المطلب الثاني:

إقدام الغَرب على اتخاذ وقفة نقدية حاسمة إزاء الإرث الضخم من معظم الفكر الاستشراقي الذي

يُشكِّل الأساس الذي قامت عليه الصُّورة النَّمطية السَّلبية للعربي والمسلم في ذهن الإنسان الغربي.

– المطلب الثالث:

تفعيل وتطوير التوجهات الغربية الإيجابية إزاء القضية الفلسطينية وسائر القضايا العربية الأخرى، وتبنِّي النظرة الموضوعية والواقعية للعرب والمسلمين.

وَهَكَذا يكون تَصحيح الصُّورة النَّمطية السَّلبية عن العرب والمسلمين في الذِّهن الغربي، هو البداية الطَّبيعية لتأسيسِ ثقةٍ متبادلة تشكل مدخلاً موضوعياً لانطلاقِ حِوَارٍ عربي – غربي فاعل ومؤثر وعميق ومتواصل.

****

الهوامش والمراجع:

[1] **– عثمان , محمَّد عثمان: محمّد ﷺ في الكتابات المنصفة, ص59.**

[2] **– نفسه, ص117.**

[3] **– مجموعة المؤلفين ((إيناسيو رامونيه)): نظام التضليل العالمي, ص83 .**

[4] **– المرجع السابق: ص 8 .**

[5] **– هاشم , عقيل: تخطيط الإعلام العربي, ص103 – 105.**

[6] **– العبادي, صالح : آنّا ماري شيمل : السفير الثقافي بين الشرق والغرب, مجلة الفيصل, العدد 322, يونيو 2003, ص118.**

[7] **– شيمل, آنّا ماري: من كلمتها في حفل استلام جائزة الصلح للناشرين الألمان, مجلة كيهان, العدد 28, طهران نوفمبر 1995م .**

[8] – خضور, د. أديب: صورة العرب في الإعلام الغربي , ص77– 78.

9– محمد الأحمد، الحوار الإعلامي مع الغرب، دار الشرق، بيروت2006، ص123.

10– المصدر السابق نفسه، ص156.

11– نفسه، ص167.

****

الفصل التاسع
تَحَديات العَولمَة والحِوَار
معَ الغَرب

الفصل التاسع

تَحَديات العَولَمَة والحِوَار معَ الغَرب

ظَهَرَ مصطلح " العَولمة " أولاً باللغة الإنجليزية ثم تُرجم إلى اللغات الأخرى، ومنها اللغة العربية، وإلى جانب " العولمة " جرى تداول كلمات أخرى في اللغة العربية ترجمةً للفظ الإنكليزي الأصلي، منها: " الكَوكبة " و " الكونية " و " الكوننة " وقد غَلب عليها جميعاً لفظ "العولمة ".

ويختلف الباحثون حولَ تعريف نظرية العَولمة. ولعلَّ اختلافهم يعود إلى أنَّ نظرية العَولمة، برغم أهميتها، فهي لا تزال في مرحلة البدء والتطور.

يقول الباحث " جون تواملنسون": رئيس مركز أبحاث الاتصالات والثقافة العالمية بجامعة ترنت البريطانية، مُعّرِفاً العولمة: ((تشير العَولمة إلى

الفعاليات المضطردة المتنامية التي تخص الاتصالات الاندماجية المعقَّدة بين المجتمعات والثقافات والمؤسسات والأفراد على النطاق العالمي)).

أما الباحث السوسيولوجي " أنثوني جيدينز " فيقول: إنَّ العولمة هي: ((تكثيف العلاقات الاجتماعية الممتدة على نطاق العالم أجمع والتي تربط محليات متباعدة بحيث أن الأحداث المحلية تكيّفها أحداث تصدرُ على بعد أميال عديدة وكذلك العكس)).

ويشيرُ هذا التعريف ضمنياً إلى وجود علاقات معينة ولكنها تكثّفت في عصر العولمة، حيث أدَّى هذا التكثيف في أشكال الحِوَار الإنساني والعلاقات الاجتماعية العالمية أو العولمية إلى ترابط القوى في العالم، ولهذا فإن ما يحدث في مدينة ما يكون متأثراً بما يحدث في الجانب الآخر البعيد من العالم، والعكس صحيح أيضاً.

ويعـرِّف " فيذرسـتون " العولمـة بقولـه: ((تتضـمن العولمة الامتداد الخارجي للثقافة المحلية المعينة إلى أقصى حدودها، أي العالم أجمع. تصبح الثقافات المختلفـة منخرطـة في الثقافـة الغالبـة الـتي سـوف تغطي، بعد حين، جميع العالم)).

وهكذا يشير " فيذرستون " على اتجاه حركة العولمة الثقافية. فهو يرى أن العولمة تخص امتداد الثقافات المحليـة خـارج حـدودها بحيـث يكـون حيزهـا العـالم بأكمله.

وبالتـالي تـؤول هـذه الثقافـات الممتـدة خارجيـاً إلى مزج ثقافي واحد يسود العالم أجمع.

عولمة الثقافة

إنَّ التنـوع الثقـافي ضـرورة صـحية تمليهـا الحاجـة الروحيـة والحضـارية لشـعوب العـالم، أمـا العولمـة الأمريكيـة فتهـدف إلى تشـكيل صـورة العـالم وفـق

قِيَمِها الثقافية ومصالحها بما يضمن لها هيمنة مطلقة على صناعة الثقافة العالمية.

((وبعد أن أصبحت أمريكا تحتل القطب الواحد وراح الإعلام الأمريكي يبشِّر بثقافة الانترنيت، وهي شبكة معقدة من النُّظم المبتكرة والحاسوب الآلي والفاكس والتلكس، وتبشِّر بالثقافة الأمريكية الممثلة بثقافة السوبرمان ومؤسسة والت ديزني متجاهلة القِيم الثقافية للقوميات والدول والتفاعل الحضاري والثقافي العالمي المبني على الاحترام الثقافي)).

ونتيجة للتطور التكنولوجي في المعلومات والاتصالات والموجّه في جزئه الأكبر للوطن العربي، فإنَّ الثقافة العربية تعاني هجمة تحديات ثقافية ذات طابع إعلامي تستهدف قِيم الوجود والأصالة والانتماء من حيث المبدأ وتستهدف تذويب الثقافة وَصَهرها واغتيالها من حيث الغاية، والتي

تـؤثر علـى الإنسـان العـربي بحالـة اغـتراب ثقافيـة، اجتماعية وسيكولوجية، حالة من فقدان الإحساس بالانتماء إلى المستوى الثقافي وحالة من الضياع في مسـتوى العلاقـات الاجتماعيـة، والـتي أدَّت إلى التفكك الوطني والقومي.

وبهذا يكون الأمن الثقافي للأمة العربية هشاً يسهلُ اختراقه، وبالتالي يؤثر ذلك على مختلف الجوانب الحضارية والفكرية والسياسية للأمة العربية.

عولمة الإعلام

يمكـن تعريفهـا إجرائيـاً ((عمليـة تهـدف إلى تجـاوز الحـدود السياسـية والثقافيـة بـين المجتمعـات بفضـل تعـاظم قـدرات وسـائل الإعـلام والمعلومـات ولهـا أهـداف تعمـل علـى توحيـد أسـواق العـالم وتحقيـق مكاسـب لشـركات الإعـلام والاتصـال والمعلوماتيـة العملاقة، متعددة الجنسيات على حساب تقليص دور الدولة في المجالين الإعلامي والثقافي)).

وتظهر في مجال عولمة الإعلام سيطرة واضحة للولايات المتحدة الأمريكية على المستوى العالمي إذ

((تسيطر وحدها على 65% من المادة الإعلامية، حيث تسيطر 15 شركة أمريكية في مجال الإلكترونيات على نسبة 75 % من الإنتاج الصناعي الإلكتروني العالمي في مجال الثقافة)).

وتتضمن المادة الإعلامية والثقافية الأمريكية نشر الثقافة الأمريكية عبر الحدود، ونشر نمط حضاري وثقافي يكرّس العَولمة الأمريكية ويُفقد الأمم والشعوب هويتها وشخصيتها وثقافتها.

وتسيطر الدّول الغربية على الإعلام العالمي من خلال أربع وكالات أنباء دولية كبرى في العالم وهي:

- وكالة اسوشيتد بريس – الأمريكية.
- يونايتد بريس – الأمريكية.

- فرانس بريس – الفرنسية.
- رويتر – الإنكليزية.

وهكذا تعتمد الولايات المتحدة والدّول الغربية على الإعلام، فهو أداتها الأساسية لنقل الأفكار والأخبار والثقافات إلى الأمم الأخرى والتأثير عليها لجعلها تدور في فلكها.

الآثَار الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية السَّلبية للعولمة

لظاهرة العولمة أبعاداً وتجليات غير محدودة، تشمل كل النشاطات الإنسانية تقريباً، ومن أهم هذه الأبعاد والآثار السَّلبية، البعد الاقتصادي الذي يُعتبر من أهم وأبرز مظاهر العولمة ونتائجها السَّلبية، وقد تجلَّى البُعد الاقتصادي في انهيار حلم التنمية الوطنية المستقلة، وتكريس التبعية الاقتصادية للغرب، والقضاء على الصناعة الوطنية، وهدر الثروة الوطنية وتدمير البيئة.

أما البُعد الثقافي كأثر سلبي للعولمة فيتجلى في هيمنة الثقافة الغربية، وزعزعة منظومة القِيم في المجتمعات العربية والإسلامية، وتهديد اللغة العربية والدِّين الإسلامي.

أما آثار العَولمة السَّلبية في المجالات الاجتماعية فحدِّث ولا حرج، ومنها: سيادة الطابع الاستهلاكي الفارغ كنمط للحياة، والترويج للنّمط الغربيّ كأسلوب للحياة والسلوك، وتعميق التفاوت الاجتماعي، وتدمير الانتماءات الحقيقية إلى الوطن والدِّين وإيقاظ ولاءات ضيقة كالطائفية والمذّهبية والقبلية لإضعاف الشعوب وجعلها تتناحر فيما بينها لتعبيد الطريق أمام عجلات العولمة التي ستأتي على الأخضر واليابس وتُحكِمُ سيطرتها على مُقدَّرات الشعوبَ.

وفي المجال السياسي تتجلى الآثار السَّلبية للعولمة في النواحي التالية:

1-إضعاف سلطة الدولة الوطنية.

2-محاولة فرض نظام سياسي معين على العالم.

3-محاولة إملاء سياسات معينة على العالم.

الثقافة والإعلام في مواجهة تحديات العولمة

ستنعكسُ آثار العَولمة على الثقافة والإعلام والاجتماع والسياسة، لأنها ((المآل الحقيقي لما يشهده العالم من ثورة تكنولوجية واتصالية وتحرير للاقتصاد والتجارة الدولية)).

والثقافة العربية في ظل هيمنة العولمة يجب أن تتجاوز الأطر التقليدية، وأن تقتحم المجالات التي يحتمها منطق التطور وتفرضها آليات العصر الحديث كوسائل الاتصال الحديثة وشبكاتها المتنوعة.

((وإذا أراد العرب تأسيس ثقافة عربية قادرة على الوقوف في وجه التحديات المتعددة الأشكال والألوان، فإنَّ هذا لن يكون بالعزوف عن الثقافات

الأخرى والانطواء على الذات، بل يكون بمواصلة التفتح مع التمييز الجيد بين النافع فيه والضار، والملائم للثقافة القومية وحضارتنا وتوجهنا الاقتصادي والاجتماعي والفكري وبين ما هو غير ملائم لهذه المكونات)).

أما بالنسبة للإعلام العربي، فالمهام الملقاة على عاتقه جسيمة، ولذلك عليه مواكبة التقنيات الحديثة واستيعابها واستثمارها جيداً.

((إنَّ وسائل الإعلام في جوهرها أدوات ثقافية تؤدي دوراً أساسياً في نقل الثقافة ونشرها. ويتوجب على الإعلام العربي أن يحقق التكامل وتدارك ما يحدث من تعارض وتناقض بين ما تبثه وسائل الإعلام الغربية من قِيم وسلوكيات تهدِّد الهوية الثقافية العربية، وبين ما تحرص المؤسسات التعليمية على تأكيده، وخصوصاً أن الغرب يملك التقنية الأقوى بالإضافة إلى أنه يقدِّم حججاً على

الرغم من عدم صحتها إلاَّ أنها تكون مقنعة بالنسبة للغالبية العظمى من الشعب غير المثقف)).

وهكذا لابد من تكامل دَوْرَي الإعلام والثقافة وتفعيله وتطويره للوقوف في وجه تحديات العولمة التي أخذت رياحها العاتية تهبُّ على العالم مقتلعة في طريقها هويات وتراث وثقافات الشُّعوب التي لا تصمد في المقاومة ولا تُفعّل أدوات المجابهة الإعلامية والثقافية والاقتصادية والسياسية.

من العَولمة المؤمركة إلى عَولمة التنوع

((من فَلسفة السَّيطرة والصِّدام إلى ثَقافة الحِوَار))

((إنَّ العَولمة الآن بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية تسير بوتائر سريعة وشاملة وواسعة النطاق تفرض قواعدها وفلسفتها على الجميع)).

هذا ما قاله الكاتب الأمريكي "توماس فريومان" وهو قول يبيّن العولمة المؤمركة مكشوفة على حقيقتها المتطرفة والمتسلطة والعنيفة بآنٍ واحد.

وبهذا المعنى تسعى العَولمة المؤمركة إلى أن تكون " اقتصادية " بامتياز، وتسعى لتعميم " ثقافتها " العالمية بثلاث سمات حدّدها البروفسور الروسي " أليغ كولوبوف " والأستاذ الدكتور " سهيل فرح " عضو أكاديمية التعليم الروسية بما يلي: ((السِّمة الأولى تجعل من اللغة الإنكليزية ومن الدولار بمثابة – العجل الذَّهبي – الذي يوجب أن تمارس الشُّعوب خضوعها وتبنيها التام لهما. أما السِّمة الثانية وهي احتكارية أيضاً، تتمثل في قدرة هذه – العولمة المؤمركة – لأن تقصف العقول والنفوس والأذواق عبر العالم. والسِّمة الثالثة، وقد تكون الأكثر خطورة بالنسبة لسائر الحضارات العالمية، حيث إن الثمن الكبير تدفعه تلك الحضارات،

وهي القدرة على الامتصاص الهائل للأشياء. إنها القدرة والرغبة الجامحة بأن تتحول الاختلافات والتنويعات القائمة في العالم إلى سوق كبير للاحتكارات الأمريكية)).

وهكذا تعمل " العَولمة المؤمركة " على تهيئة المناخ الثقافي على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية لتقبّل منظومة ثقافية بعينها تعبِّر عن قِيم العَولمة في تعريفها الأمريكي بما يخدم مصالحها الاقتصادية ويدعم نفوذها السياسي وتمركزها العسكري في العالم.

((كما تعمل منظومة قيم العولمة الأمريكية على ترسيخ قيم الحداثة الغربية خاصة كما تبلورت في النموذج الأمريكي وتعمل على نشرها تدريجياً بين النخب في العالم، تمهيداً لانتشارها كطريقة في الفهم والتفكير والسلوك لتشكل نمطاً موحداً عالمياً في الحياة الاجتماعية)).

وبهذا الفهم الأمريكي العقيم يُربط الإسلام ربطاً مباشراً برفض الحداثة " على النموذج الأمريكي " وبممارسة الإرهاب ومعاداة ثقافة السلام والتسامح، وبرفض الآخر. وهذه الرؤية الأمريكية تشمل الدِّين الإسلامي كلّه لا مجموعة متطرفة من المسلمين. وبهذا تدعو " العولمة المؤمركة " إلى السَّيطرة والصِّدام ورفض الانفتاح على الآخر، ولاسيما على العرب والمسلمين، مما يغلق كافة أبواب الحِوَار والتفاهم، ويفتح كافة أبواب الصِّدام والحروب على أكثر الاحتمالات سواداً.

وفي مقابل " العولمة المؤمركة " تبرز الحاجة الإنسانية ملحّة إلى " عولمة التنوع " وقد تبدَّى ذلك جليَّاً خلال العقود الأخيرة من خلال اتجاهٍ دوليٍّ معاكسٍ تجسّدَ من خلال جهود عدد من المنظمات الدّولية وبعض الدّول وبعض المؤسسات الثقافية والإعلامية التي أكّدت على رفض المركزية

الأمريكيـة في العلاقـات الثقافيـة الحضـارية علـى المسـتوى العـالمي ودعـت إلى إحـداث نـوع مـن التوازن في التدفق الثقافي والإعلامي بين الولايات المتحدة من ناحية وبقية العالم من ناحية أخرى.

كما عبّرت عن القلق المتزايد من التأثير الأحادي الطاغي لنموذج ثقافي واحد على مستوى العالم، ومن التأثيرات السَّلبية لصناعة الإعلام والإعلان والسينما وغيرها من الصناعات الثقافية الأمريكية التي تؤكد قيم القوة والعنف والفردية والعنصرية.

إنَّ كوكبنا يزخر بتنوع اثني وثقافي وحضاريّ يشكل مصدراً هاماً لغنى وإبداع وتنوع الحضارة الإنسانية الواحدة التي تنطوي على ثقافات متعددة.

فعولمة التنوع هي عولمة الحضارة الإنسانية الواحدة بثقافاتها المختلفة. يقول المفكر الفرنسي "كلود ليفي شتراوس ": ((الحضارة هي تعايش الثقافات بكل تنوعها. فأي حضارة عالمية لا يمكن أن تمثل

إلاّ تحالفاً عالمياً بين الثقافات، تحتفظ فيه كل منها بأصالتها)).

إنَّ عولمة التنوع تضفي الطابع الإنساني والأخلاقي على العلاقات بين الدول والمؤسسات والجماعات والأفراد، وبالتالي هي نقطة نوعية هامة باتجاه حِوَار الثقافات.

عَولمة التنوع وَضرورة الحِوَار

((من أجل ثقَافة أخلاقية عالمية))

في الوقت الذي تهدِّد فيه العَولمة المؤمركة المكونات الأساسية للثقافة العربية والإسلامية كالدِّين واللغة والعادات والقيم، وتُلغي كافة فرص الحِوَار، تكُرس عولمة التنوع جهودها على الحِوَار الفاعل والبنّاء من أجل ثقافة أخلاقية عالمية تُغني القواسم المشتركة التي تجمع بين الثقافات المتنوعة التي تشكل حضارتنا الإنسانية.

ومن أهم المبادئ التي تنادي بها عولمة التنوع لتأسيس ميثاق أخلاقي إنساني عالمي عام:

1-الدَّعوة والعمل الحقيقي من أجل الاتفاق على عقد اجتماع دولي لتقليص مساحة الفقر والبطالة والجهل والمرض.

2-احترام الحرية الثقافية التي تشجع على التجريب والتنوع والخيال والإبداع.

3-إرساء الديمقراطية المعتمدة على مبدأين أساسيين على مستوى الوعي والممارسة.

4-حماية حقوق الأقليات.

5-العالمية الأخلاقية المرجوّة هي التي تهدف إلى خلق علاقة جدلية متوازنة بين الحقّ والواجب، الحرية والضوابط، التوفيق الحكيم بين الأنا والآخر.

6-إنَّ مستقبل الثقافات لا يكمن في الانطواء داخل أسوار التقليد والجمود ولا بالذوبان مع

حضارة الأقوى بل بالتفاعل الخلاَّق بين الثقافات العالمية المختلفة.

وَهَكَذَا يكون تنوُّع الثقافات وتفاعلها وتحاورها سبيلاً إنسانياً راقياً لنبذ سياسة السَّيطرة والهيمنة والعنف، وبالتالي الوقوف في وجه العولمة الوحشية التي تجتاح الكرة الأرضية، والتأسيس لحضارة إنسانية واحدة ذات قيم أخلاقية عالمية مشتركة تكون محصلة طبيعية لتمازج وتكامل وحِوَار الثقافات المختلفة في بوتقة الحضارة الإنسانية الواحدة.

إنَّ الحِوَار المنشود هو السَّبيل الأوحد لتحويل العَولمة الوحشية إلى عَولمة إنسانية شاملة لكل الثقافات من أجلِ بناء عَالم مُتَآخٍ مُتضامن ينبذ كل أشكال السَّيطرة والهَيمنة والكَراهية والاستغلال، وينشدُ الخيرَ والعَدالة والمُساواة والمَحبة للجميع حَاضراً ومُستقبلاً.

أهم المراجع:

[1] – عبد الحافظ, عبد الرشيد: الآثار السَّلبية للعولمة, مكتبة مدبولي, القاهرة 2005.

[2]– التوم, د . عبد الله عثمان / آدم , د. عبد الرؤوف محمّد: العَولمة, دار الورَّاق, لندن 1999.

[3] – عبد الدائم, عبد الله: العرب والعالم بين صِدام الثقافات وحِوَار الثقافات, مجلة المستقبل العربي, العدد 203, 1996م.

[4]– وطفة, علي: الثقافة وأزمة القيم في الوطن العربي, مجلة المستقبل العربي, العدد 192 , 1995م.

[5]– شومان, محمّد: عولمة الإعلام ومستقبل الإعلام العربي, مجلة عالم الفكر, المجلد الثامن والعشرين, العدد الثاني, الكويت 1999م.

[6] – خضر, محمّد: الإعلام العربي والتحديات التقنية, مجلة معلومات دولية, دمشق, عدد (55) 1997م.

[7]– الجويلي, نصر: الثقافة العربية في مواجهة تحديات العصر, مجلة الهداية, العدد الأول والثاني, السنة 25, 2000م.

[8]– قدور, صفاء: الإعلام العربي وصناعة رأي عام , مجلة " المعلم العربي" , دمشق, العدد2, السنة6 , 2007م.

[9] – كولوبوف, د. أليغ/ فرح, د. سهيل: حِوَار الحضارات: المعنى , الأفكار, التقنيات، دار علاء الدين، دمشق 2008.

10. تقرير اللجنة العالمية للثقافة والتنمية، إصدار المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة 1997م .

****

الفصل العاشر

ثقافة السَّلام في مواجهة ثقافة الكراهية والعنف

الفصل العاشر

ثقافة السَّلام في مواجهة ثقافة الكراهية والعنف

هل يمكن لثقافة السَّلام وقيمه السَّامية أن تخفق في الأعالي مبددة سحب الكراهية وغربان العنف في سماء عالمنا المعاصر الملّبدة بغيوم الكراهية والتعصب والتطرف العمياء؟

يقول الباحث الدَّكتور " خالص جلبي " محاولاً الاجابة عن التساؤلات السابقة:" هنالك مذهبان في العالم لا ثالث لهما: يقوم الأول على العنف وتدمير الآخر وإلغائه، والثاني على احترام الإنسان والحفاظ عليه، وكلا المذهبين خلفهما عواطف متباينة، فالأول يسقى بالحقد، والثاني يُغذّى

بالحبّ، والحقد عملياً هو الانكفاء والارتداد على الذات، ولذا فهو مدمّر لأنَّه يحذف الأخر، والحب مشاركة ولذا فهو حياة ونماء"(1).

إنّ ظاهرتي الكراهية والعنف تبرزان كإحدى أهم المعضلات التي يواجهها غير بلد من عالمنا المعاصر، وتولدان أجواء مسمومة سلبية تنعكس سلباً على السلم الاجتماعي المحلي للدّول والسّلم الدّولي وترخيان بظلال سوداء على الحِوار بين الشعوب والأديان ذلك أنهما جرثومتان تضربان المجتمعات الإنسانية في منظوماتهم الثقافية والاجتماعية والنفسية والأخلاقية.

....

أزمة تسامح الحِوار:

إنَّ الأحداث الجسام التي تعصف بكثير من البلدان العربية تدلل بجلاء أنَّ جانباً هاماً من جوانب أزمتنا الراهنة هي أزمة تسامح وحِوار لم تعد مرتبطة بأخلاقيات الموقف من الآخر الغربي المسيحي بقدر ماهي أزمة بدأت تظهر داخل الدِّين الواحد، وأحياناً داخل المذهب الواحد. وبالتالي تكون الأسئلة الراهنة المصيرية: كيف نبني ثقافتي السلام والتسامح في مجابهة ظاهرتي الكراهية والعنف؟ وهذا السؤال يحيلنا إلى إشكالية أزمة الأخلاق، ذلك لأنَّ القيم هي المستهدفة، وبالتالي ينبغي على المفكرين والكّتاب استحضار القيم الأخلاقية المشتركة باعتبارها دعامة أساسية من دعائم السلام والتسامح بين الأديان والشعوب.

" ولكي يجد التعايش والسلام العالمي طريقه إلى التطبيق وفقاً للرؤية الإسلامية، فإنَّ كافة السياسات والمواقف والاجراءات التي تتخذ بشأن العلاقة مع الآخر، يجب أن تأتي في أطار الالتزام بمنظومة القيم والمبادئ المعيارية، التي تضمن الوصول إلى هدف السلام والتعايش. ذلك لأنّ الامم والشعوب، وإن اختلفت في عقائدها، واتجاهاتها الفكرية، فلا بد من وجود نقطة التقاء تجمع بينها، ليتم من خلالها التواصل والتعاون المشترك، من أجل الجميع، ونقطة الالتقاء هذه هي عبارة عن مجموعة من القيم الإنسانية المشتركة"(2).

الحروب أكثر من نواقيس إنذار؟

إنَّ كافة الحروب التي شهدها عالمنا وخلال القرون الماضية هي من ثمار تأجيج ثقافة العنف والكراهية

وإلغاء الآخر والضرب بعرض الحائط بكل القيم الإنسانية والدِّينية. ولقد خلّفت الحروب عبر التاريخ عشرات الملايين من القتلى وعشرات الملايين من المعّوقين والجرحى والمشردين. فـ "مع بزوغ الحضارة الإنسانية قبل (600) ستة الآف سنة، بدأت معها دورات الحرب المريعة، كل حرب أشد هولاً في إيقاعها من التي قبلها، وأعظم تدميراً وإراقة للدماء وبين عامي (1496) قبل الميلاد وعام (1861) بعد الميلاد أي خلال (3357) عاماً كان هنالك (227) عاماً انتشر فيها السلام. و(3230) عاماً وقعت فيها الحروب، وهذا يعني أنه كان هنالك عام واحد للسلام مقابل (13) عاماً للحرب. وبين عامي (1740) و (1974) ميلادي حصل في العام (366) نزاعاً مسلحاً أودى بحياة ما يزيد عن (85) مليون إنسان "(3). وغير بعيد عن ذاكرتنا ما حدث في البوسنة

وأفغانستان ورواندا ويحدث الآن في سورية وميانمار.

....

صنع ثقافة السلام

وإزاء كل الأرقام الصَّادمة السابقة التي خلفتها الحروب يكون لزاماُ على المفكرين و السياسيين المساهمة الفاعلة في وضع أسس ثقافة السلام التي ينبغي أن تؤسس على نظام واضح للعلاقة مع الآخر تحكمه قيم العدالة والمساواة والوفاء بالعهود، والأمانة والصدق وتقوده مبادئ التعاون والعمل المشترك.

إنَّ صناعة ثقافة السلام هي صمام الأمان الأكثر فاعلية في مجابهة دعاة الصِّدام وتجار السلاح الذين

يكنزون الذهب والفضة على حساب أرواح ملايين الضحايا.

إنّ صنع ثقافة السلام شرط أساسي لقيام العيش المشترك بسلام وهذه الثقافة السامية ستغيّر الذهنية الجماعية النّمطية التي تنظر إلى العنف على أنه بطولة بدلاً من كونه مدعاة للخيبة والألم والعار.

دور المشتركات الإنسانية في صنع السلام

تجتمع البشرية جمعاء على مجموعة من القيم الإنسانية المشتركة التي من شأنها ـ –إن اشتغل عليها –أن تلعب دوراً هاماً في صياغة مفهوم السلام ووضع آلياته ومنطلقاته الرامية لبناء ثقافة السلام كثقافة إنسانية جامعة لإنقاذ الجنس البشري من عَماء التطرف والعنف والكراهية.

ومن أهم المشتركات الإنسانية الجامعة:

1_ المساواة في الأخوة الإنسانية:

المساواة في الأخوة الإنسانية من أهم أعمدة التعايش السلمي العالمي بين جميع الناس على اختلاف أجناسهم ودياناتهم، " فالإنسانية متساوية في الخطاب الدّعوي الإسلامي، ولا يلتفت إلى ما بينهم من فروق شخصية، أو اجتماعية، أو مالية، ولذلك دعا الإسلام إلى الوحدة بين الأمم الإنسانية بالمساواة بين أجناس البشر، وبوحدة التشريع بالمساواة بين الخاضعين لأحكام الإسلام في الحقوق المدنية ".

وهكذا فالمساواة تعد واحدة من صور العدل، والعدل هو الروح الثاني للإنسان، يغرس في النفوس حبّ المجتمع وكل القيم الإنسانية الفاضلة.

2_ العدل:

يعدّ العدل من أهم المشتركات الإنسانية، وهو من أهم المقومات التي تقوم عليها الأمة الإسلامية، وقد أخبر عن ذلك رسول الله محمَّد (عليه الصلاة والسلام) حين قال:" لا تزال هذه الأمة بخير إذا قالت صدقت، وإذا حكمت عدلت، وإذا استرحمت رحمت"(4).

إنَّ مفهوم العدل في الإسلام ليس مجرد شعار يرفع، وإنما هو مبدأ من المبادئ الأساسية التي ترتبط ارتباطاً عضوياً بماهية الإنسان الذي جعله الله خليفة الأرض وميزه بالعقل وأمده بنور الوحي، وهذا ما سهم بتحقيق العدالة، "ومادام العدل صفة لله تعالى الذي خلق هذا الإنسان، فينبغي على هذا الإنسان أن يكون عادلاً في سلوكه ومعاملاته مع نفسه، ومع الآخرين الذين يختلفون

معه من حيث العقيدة والفكرة، وأن يصبح العدل مترجماً لسلوك يمكن معه إزالة الظلم وترسيخ قواعد العدل"(5).

ويأتي إسهام العدل في صنع السَّلام من خلال تطبيق العدالة في مجال العلاقات مع الآخر، أو ما يعرف في العصر الراهن بالعلاقات الدَّولية.

ويرى بعض الباحثين، ومنهم الدكتور " هاشم السوداني " أنَّ "هنالك علاقة وثيقة بين إقرار العدالة، وإقرار السلام، فإذا اختلت العدالة فإنَّ السلام يصبح في خطر، الأمر الذي يتطلب اتخاذ كافة التدابير الكفيلة بإزالة مصدر الخلل بكل وسيلة مشروعة".

3_ الوفاء بالعهود والمواثيق:

تؤكد التعاليم الإسلامية السمحاء إلى الوفاء بالعهود والمواثيق انطلاقاً من الواجب الشرعي الذي يدعو إليه الإسلام، وهو الوفاء بالعهد. قال سبحانه وتعالى:((وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إنّ الله يعلمُ ما تفعلون)). وعندما يتعلق الأمر بالعلاقات بين البشر فإن مبدأ الوفاء يتجه مباشرة إلى المعاهدات والعقود المبرمة والالتزام بها وبالأخلاقيات المرتبطة بها، وهذا ينعكس إيجاباً على ترسيخ مبادئ التعايش والتعاون وترسيخ قيم التعاون وتعزيز ثقافة السلام، وذلك لأنَّ الإخلال بالمواثيق ونقض المعاهدات يكون أحد أسباب الحروب التي تجر الويلات على طرفي النزاع وعلى البشرية بأسرها.

4_ التعاون المتبادل:

جاء الأمر في القرآن الكريم بالتعاون المبني على فضائل الأخلاق، الهادف إلى تحقيق الخير الإنساني في العالم. قال سبحانه وتعالى:((وتعاونوا على البرّ والتّقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إنّ الله شديد العقاب)).

وينطوي التعاون على تقرير الاعتماد المتبادل كسياسة عامة في تسيير العلاقة بين المسلم والآخر في مختلف مناحي الحياة، وإذا قام التعاون على أساس المنفعة المتبادلة وعدم الاستغلال والتقوى، فإنَّ النَّاجم يكون في تعزيز التلاحم الإنساني مع قيم العدالة، والمساواة والوفاء بالعهود والتعهدات والمعاهدات وهذه كلها من أهم ركائز العلاقة الإيجابية بين المسلمين وغيرهم، ولا سيما من اتباع الديانات السماوية، هذه الركائز التي تبني عليها

ثقافة السلام ومنها تنطلق لخير الشعوب والبشرية جمعاء.

.....

الضرورات اللازمة لتأسس ثقافة الحِوار

يسعى حِوار الأديان لبناء تصوّر مشترك لثقافة السلام انطلاقاً من اتفاق الدّيانات السماوية الثلاث حول ربط الغاية من بعثة الرسل والمصالح التي تقررها شرائعهم بالضروارت الخمس، وهي حفظ النفس والعقل والنسل والمال والدين، وهي أساس كل سلام وبدونها لا يتحقق السلام، لأنَّ السلام مع النفس والسلام مع الجار والسلام بين الأمم.

وقد أوضح المفكر الدكتور " محمد عابد الجابري " هذه الضرورات التي تتفق عليها الدّيانات السماوية

كقيم معززة لصنع ثقافة السلام كما يلي:" 1_ ففي مجال حفظ النفس يمكنه بناء تصوّر جديد لمفهوم _ الحفظ _ يستجيب لمتطلبات العصر لأنَّ الأصل في مفهوم حفظ النفس هو كف الأذى عنها مهما كان نوعه، والأذية التي تلحق النفس البشرية تمتد على مسافة واسعة منها حفظ الإنسان من أسلحة الدمار الشامل والقتل الجماعي 2_ وهذا النوع من حفظ النفس يتطلب عقلاً سليماً، يكبح ويحبس الميول العدوانية في الناس مهما كان نوعها. ومن هنا ضرورة بناء فهم جديد لحفظ العقل.

3_ ولعلَّ أول واقعة سلوكية يتحقق بها انفصال الإنسان عن الحيوان هي الواقعة الطبيعة المعبّر عنها بـ" حفظ النسل " ولذلك ارتفعت أصوات بضرورة وضع أخلاقيات للبيولوجيا والطب، وأعتقد أن

ضرورة _حفظ النسل _ تتطلب فعلاً وضع أخلاقيات في هذا المجال.

4_ حفظ المال والمقصود: الخيرات المادية بمختلف أنواعها والتي هي ضرورية لحياة الإنسان. وحفظها يعني حمايتها من الضياع والتبذير والاحتكار وسوء الاستعمال، وهذا ما تتفق عليه الديانات السماوية.

5_ حفظ الدين: وحفظ الدين من منظور ثقافة السلام يقتضي أولاً وقبل كلّ شيء حفظ المنطلق الذي انطلقنا، أي أنَّ الديانات السماوية تقصد مصلحة الناس" (6).

****

الفصل الحادي عشر

القيم الروحية وأثرها في صنع السلام

الفصل الحادي عشر

القيم الروحية وأثرها في صنع السلام

لا يختلف اثنان أن السلام هو ثمرة للعقول المفكّرة وثمرة للثراء الإنساني المشبع بالقيم الروحية النبيلة. والعكس صحيح، فالعنف والكراهية والتطرف ثمار مرّة من ثمار الجهل وضحالة التفكير ومحدوديته والفقر المدقع بالقيم الروحية والإنسانية.

إنَّ حاجة البشرية لصنع السلام ونشر ثقافته في مشارق الأرض ومغاربها حاجة استراتيجية، وهي قبل ذلك حاجة وجود وحياة، فالسلام هو أمنية البشرية جمعاء، فكوكبنا بحاجة إلى سلام لحفظ الحياة البشرية والطبيعة النباتية والحيوانية والجامدة.

إنَّ للقيم الروحية والإنسانية والحيوانية والوجدانية دورها الفاعل في صنع السلام ونشر ثقافته ذلك

أنها منارة سامقة من منارات السلام والحب في مواجهة إراقة الدماء والدمار الواسع النطاق التي تسببها النزاعات والاضطرابات والحروب.

إنّ صنع السَّلام يوفر مناخاً ملائماً لتقدم الحضارة الإنسانية وخدمة التنمية وتحقيق حياة أفضل للإنسان في أجواء يسودها الفرح والطمأنينة والأمان، وهي أجنحة بيضاء لنشر ثقافة السلام في كل مكان.

السَّلام في فكر الفلاسفة

يظهر السلام في أشكال ومعانٍ متنوعة ممّا يجعله مفتوحاً على التأويلات الفلسفية والمقاربات الفكرية، فسمةُ السلام مع الذاتِ، فالإنسان الذي لم يعش سلاماً داخلياً مع ذاته يطمئنه ويجعله نافعاً لنفسه وللأخرين... هذا السلام يبني شخصية الفرد ويجعله عامل نماء واستقرار في المجتمع. وسمة

السلام مع الآخرين الذي تنبثق من السلام مع الذات، فالإنسان اجتماعي بالفطرة يعمل في سبيل النفع العام. ففي جمهورية أفلاطون" يعيش سكانها معاً بحرية واستقرار وسلام، الذئب يرعى مع النعجة، ومحور هذا الحياة هو السلام. وحدثنا الفيلسوف العربي " الفارابي " عن المدينة الفاضلة" برؤية محورها السلام مع الآخرين، فلا حياة ولا أمل ولا فرح بعيداً عن أجواء السلام، وهذا السلام هو السلام البنّاء الذي يبني المجتمعات ويقود الإنسان إلى السعادة.

.....

ثقافة السلام في مواجهة ثقافة الكراهية والعنف

لا يمكن لثقافة السلام أن تتحقق مالم نسلك كافة السبل المتاحة لبنائها، ومن ذلك تعزيز ثقافة الحِوار

التي هي ركيزة من ركائز ثقافة السلام، وكذلك ينبغي العمل من خلال المؤسسات والمنظمات الإنسانية والوطنية والاجتماعية والثقافية والحوارية ومواقع التواصل الاجتماعي، ومن خلال تعزيز القيم الروحية والدّينية والأخلاقية والإنسانية.

ويحتل الحِوار بين الأديان مكانة هامة ذلك لأنَّه لن يكون هنالك سلام عالمي بدون سلام بين الأديان لا يمكن أن يتحقَّق سلام بين الأديان بدون حِوار ديني وثقافي معمّق ومتواصل ومبني على أسس سليمة بينها. وكذلك يمكن لثقافة السلام أن تنهل من معين التربية كافة القيم التربوية التي تشجع على التعايش المدني والسلمي بين الأفراد والشعوب المختلفة، وتساهم في ترسيخ ثقافة الحوار داخل المجتمع وما بين المجتمعات.

إنَّ التربية هي الأداة الأكثر فاعلية للوقاية من التعصب والكراهية ورفض العنف وتعزيز قيم الحبّ واحترام الحياة وتعزيز روح التعاون والتضامن والإنصات للآخرين من أجل التفاهم. وهكذا وبحسب كافة الدِّراسات الحديثة تكون ثقافة السلام من أفضل الأساليب للتدخل الإيجابي في حلِّ الصراعات ونبذ ثقافتي الكراهية والعنف، فالسلام هو أساساً احترام الحياة، وهو اندماج الكائن الإنساني في مبادئ الحرية، العدالة، المساواة، والتضامن.

إنَّ ثقافة السلام هي: ثقافة التعايش والتشارك المبنية على مبادئ الحرية، العدالة، الدِّيمقراطية، التسامح، وهي ثقافة ترفض العنف وتتشبث بالوقاية من النزاعات في منابعها وحلّ المشكلات عن طريق الحِوار والتفاوض.

المراجع والهوامش:

1_ جلبي، د.خالص: بناء ثقافة السِّلم، دار المنير، دمشق 1999، ص5.

2_ السوداني، د. هاشم: القيم المشتركة ودورها في التعايش السلمي مع الآخر، مجلة المعارج، العدد 171، 2014، ص 103.

3_ فيرتر، الجنرال فيكتور، الحرب العالمية الثانية، الموسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1988، ص 151.

4_ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،المكتبة القيمة، القاهرة 1401هـ، ص 42.

5_ السوداني، د. هاشم، مرجع سابق، ص 104.

6_ الجابري، د.محمد عابد: قيم ثقافة السلام في الديانات السماوية، مجلة المعارج، العدد 171، 2014، ص13.

****

الفصل الثاني عشر

القيم الدّينية والأخلاقية المشتركة

بين المسلمين والمسيحيين

الفصل الثاني عشر

القيم الدِّينية والأخلاقية المشتركة

بين المسلمين والمسيحيين

القيم والأخلاق هي محددات وضوابط لسلوك الناس تميّز النَّوع الإنساني عن غيره من المخلوقات، وتشترك الدِّيانات السَّماوية الثلاث، وعلى وجه الخصوص الدِّيانتان الإسلامية والمسيحية بمجموعة من القيم الدِّينية والأخلاقية والروحية التي من شأنها أن تساهم مساهمة فاعلة في دعم مسيرة الحِوار بينهما مما يؤدي إلى إرساء ثقافة السلام في العالم أجمع.

المشتركات الدّينية بين الديانتين الإسلامية والمسيحية:

يشترك الإسلام والمسيحية في الاعتقاد بوجود الله وأنّه الإله الواحد المنزَّه خالق الكون والإنسان وخليقته.

وتعتقد كلا الديانتين كذلك أنَّ تحقيق الإنسان للإرادة الإلهية يكون باتباع تعاليمه الأخلاقية، وتتفق الديانتان في النهاية على أنَّ تحقيق الإنسان لهذه المثل يعني: الخلاص والبركة والسعادة في الحياة الدنيا والآخرة.... وتكوّن هذه الأفكار الدينية نواة كلّ منهما... ويرى كلّ من الإسلام والمسيحية أنَّ امتلاكه لهذه المعتقدات جاء عطاء من الله عن طريق الوحي الإلهي. وهما ينظران إلى التاريخ في ضوء هذا الوحي ويعدان مستقبل التاريخ مؤكداً له، هذا المستقبل الذي يصل نهايته يوم الحساب

... وفيه تعاد كلّ موازين التاريخ إلى وضعها الطبيعي حسب علم الله وعدله الشامل ورحمته التي وسعت كل شيء"(1). وكذلك فمن الطبيعي أن توجد فروق كثيرة بين الإسلام والمسيحية، وهذه الفروق طبيعية، فحتى ضمن الدين الواحد ثمّة فروق. وإنَّ هنالك الكثير من المشتركات القيمية بين الإسلام والغرب يمكنهما أن يتفاهما عليها دون التنازع عن القيم، كـ " حقوق الإنسان "، " الديمقراطية "، و " السلام "، و" الحرب ضد الإهارب " و " مقاومة النازية والفاشية " وغير ذلك. ويمكن للمصالح المشتركة أن تزيد العلاقة قوة أما المساحات المشتركة بين الإسلام والمسيحية ففيها اتساع ملحوظ " فهناك تراث قيمي مشترك لا يقدر بثمن فإنَّ الملاحظ للنصوص الإسلامية يجد كماً كبيراً من النقل عن عيسى (عليه السلام) وأمه الطاهرة نقلاً يوجه الحياة وينقيها، ومن أهم

مجالات التلاقي:" التركيز على عبادة الله ومحاربة الظلم والطغيان، والإيمان بالفطرة الإنسانية المبدعة، والإيمان بمنظومة أخلاقية تكاد تكون واحدة، والإيمان بحقوق الإنسان، والإيمان بقيمة التشكيل العائلي، والإيمان بضرورة التكافل الاجتماعي، الإيمان بضرورة إحياء الذكريات المصيرية، والإيمان بقيمة الحياة والعفة الاجتماعية، والإيمان بالحياة الإلهية المسجدية أو الكنسية، والإيمان بضرورة خدمة الحضارة الإنسانية، والإيمان بمنظومة من العبادات والصلوات المذكية للنفس، وغيرها كثير كثير"(2). لقد جاءت الديانات السماوية لتقرير مصالح النَّاس، وقد قام علماء أصول الدين باستقراء المصالح التي تشترك الديانات السماوية في تقريرها الدعوة إلى الحفاظ عليها وهي:

1_ مصالح ضرورية لوجود الإنسان المادي والمعنوي وسموها الضروريات ضروريات الحياة.

2_ مصالح ترتقي بحياة الإنسان نحو مزيد من السعة والفضل والتحلي بكل ما هو مفيد وحسن، وسموها التحسينات. (3).

وجهة نظر مسيحية عن القيم المشتركة بين المسلمين والمسيحيين

سنتناول في هذه السطور وجهة نظر بعض أتباع الدين المسيحي من رجال الدين والباحثين حول رؤيتهم للمشتركات الدينية والقيم المشتركة بين الدين المسيحي والإسلامي.

يقول المطران " جورج صليبا "" مطران جبل لبنان وطرابلس للسريان الأرثوذكس:" يلتقي الإسلام بالمسيحية في تكريم السيد المسيح لكونه كلمة الله

وروحه وبالعذراء مريم المكرّمة في القرآن الكريم تكريم المسيحيين لها.... ويلتقي الإسلام بالمسيحية بالدعوة إلى مكارم الأخلاق في العالم وعقيدة البعث والنشور في العالم الآتي مع وقوف كلّ البشر أمام منبر الدّيان في اليوم الآخر لينال كلّ واحد جزاءه عن حياته في الدنيا خيراً أم شراً. وفي مجال الإيمان والعقيدة المشتركة يحمل القرآن الكريم في معظمه خلاصة ما تضمنه الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد" (4).

ويقول المطران "كيرلس سليم بترس " رئيس أساقفة بعلبك وتوابعها للروم الملكيين الكاثوليك:" إنَّ المسيحية والإسلام يجتمعان على أهم الأمور الدينية على صعيدي العقيدة والأخلاق. فإذا كان الإسلام يرى في الشهادة والصلاة والزكاة والصوم والحج أركانه الخمسة، فالمسيحية تتضمنها أيضاً:

فالشهادة هي الاعتراف بوحدانية الله، والصلاة والزكاة والصوم هي من تعابير الإيمان المسيحي، والحجّ إلى الأماكن المقدسة هو من التقاليد المسيحية العريقة"(5).

ويقول الباحث " مسير باسيل عون": " التقى المسيحيون والمسلمون في وجوه شتى وفي حقول مختلفة من حقول الحياة الدّينية والفكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وعلى تعاقب الأجيال احتشدت في الوعي الديني المسيحي الإسلامي تراكمات من الخبرات والمحاصيل والخلاصات والعبر. ولذا بات اليوم من المستحسن التبصّر الهادئ الرصين في طبيعة هذه التراكمات، والنظر في قيمتها وجدارتها وأثرها، واستخراج المعايير والمقاييس والنّظم التي اهتدى بها هذا اللقاء الحضاري الضخم، وإثبات المبادئ النظرية السليمة

التي ينبغي للمسيحيين والمسلمين أن يستلهموا روحها في مقارنة مضامين عماراتهم الدّينية، ومنظوماتهم اللاهوتية، ومناهجهم الفقهية، وأساليبهم في التفسير والتأويل، وطرقهم في قراءة الذات وقراءة الآخر"(6). ويقدم الباحث " عادل يتودور خوري " رؤية مستقبلية لبناء مستقبل مشترك قائلاً:" إن تمكنا مسيحيين ومسلمين من توجيه سلوكنا وفق القيم المشتركة بين المسيحية والإسلام، استطعنا أن نشيّد نظاماً اجتماعياً إنسانياً يرتكز على احترم كرامة الإنسان، وتكون من ثماره: إقامة عدالة أخوية، وتنفيذ الحقوق والواجبات تنفيذاً رحيماً، ومنح الأولوية لحقوق الضعفاء، والمصالحة .... إلخ "(7).

وجهة نظر إسلامية عن القيم المشتركة الإسلامية المسيحية:

وسنتناول في هذا المقام عرضاً لبعض وجهات نظر المفكرين المسلمين حول القيم المشتركة بين الديانتين الإسلامية والمسيحية. يقول الباحث الدكتور " أسعد الحمراني":" إنّ المسيحية والإسلام تستهدفان توفير مناخات يعيش فيها الإنسان بكرامة ويكون ذلك عندما يسود منطق الحق والقوانين العادلة، وإذا كان بعضهم يتحدث عن الجانب الآخروي في الجزاء فإنّ الأمر كلّه بيد الله سبحانه وتعالى الذي يغفر لمن يشاء من عباده والذي كتب على نفسه الرحمة بعباده وشأنهم بيده. إنَّ أمتنا العربية مهد النبوات وحاملة الرسالات السماوية والدعوة من الله إلى أمم الأرض كلّها، وقد كان للعرب دوراً وتأثيراً من خلال المسيحية والإسلام في أرجاء الدنيا كلها. فما من بلد في العالم كله يخلو من المساجد والكنائس ومن أتباع الإسلام والمسيحية وبذلك يكون تفعيل الحوار

على القيم المشتركة ضرورة ملحّة لمواصلة هذا الدور الحضاري وتأصيله وتعميقه لتكون قيم الدين وهي الفضائل ومحاسن الخلق والحق والخير، هي القيم الناظمة لمسار الحضارات كلها، وبذلك نضمن بُعداً إنسانياً إيمانياً بعيداً عن التطرف أو التعصب أو الإلحاد أو المادية لتثبيت فاعلية القيم الدينية ودورها في التلاقي والحوار"(8). ويؤكد الباحث الدكتور محمد سعدي على أهمية القيم الأخلاقية المشتركة من " ترسيخ قيم الحوار والتسامح الدّيني والثقافي داخل مختلف التقاليد الثقافية والدّينية وداخل مختلف الأنظمة التربوية، ليتحول إلى سلوك فردي وجماعي.

.....

القيم الإنسانية والروحية المشتركة من وجهة نظر الفاتيكان:

هنالك عدد من القيم الإنسانية والروحية البديهية تجمع بين الإسلام والمسيحية. وقد أوجز أهمها المجمع الفاتيكاني الثاني بقوله:" تنظر الكنيسة بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد، الحّي القيوم، الرحمن القدير، الذي خلق السماء والأرض وكلّم الناس، يسعون بكلِّ نفوسهم إلى التسليم بأحكام الله، وإن خفيت مقاصده، كما سلّم لله إبراهيم الذي يفخر الدين الإسلامي بالانتساب إليه. وإنهم على كونهم لا يعترفون بيسوع إلهاً، يكرمونه نبياً، ويكرّمون أمه العذراء مريم مبتهلين إليها أحياناً بإيمان. ثم إنهم ينتظرون يوم الدين الذي يجازي الله فيه جميع الناس بعد ما يبعثهم أحياء من أجل هذا يقدرون الحياة الأبدية،

ويعبدون الله بالصلاة والصدقة والصوم خصوصاً (9).

مفهوم القيم في القرآن الكريم:

كثيرة هي المصطلحات القرآنية التي تتعلق بالدلالة المعاصرة لمصطلح القيم، وأهميتها في الحكم على السلوك البشري، فإذا كانت الأخلاق وصفاً للسلوك الإنسان، فإن القيم معايير لتقويم هذا السلوك، فالإنسان يسلك سلوكاً أخلاقياً محدداً، لأنه يتبنّى قيماً محددة، ونلحظ أن المصطلحات القرآنية ذات العلاقة بالقيم تقع في مستويات مختلفة في العموم والخصوص، إذ يمكن تصنيف القيم في فئات حسب معايير محددة: فالحقُّ، والعدلُ، والخيرُ، والإحسانُ، والتقوى، هي قيمٌ عُليا حاكمة رئيسية بينما الحياء، والبر، والصبر، والعفو، والوفاء هي قيمٌ مشتقةٌ فرعيةٌ. والعدل،

والشورى، والحرية، قيم في البناء السياسي للأمة، والتكافل، والكروم، والصدقة، قيم في البناء الاجتماعي للأمة، بينما الشجاعة، والحلم، والصدق، هي قيم التزكية النفسية للأفراد (10).

نحو تعزيز القيم المشتركة

لا يمكن تحقيق الحوار بين الأفراد والشعوب والثقافات بدون الاستناد إلى قاعدة القيم الإنسانية والأخلاقية والدّينية المشتركة، حيث يتحقق من خلال الحوار انفتاح إنسانيّ على التحديات المشتركة التي تواجه العالم ومستقبل الحياة البشرية. وضمن هذا الإطار شهدت عواصم عربية وأجنبية، منها الرياض، وبيروت، والكويت، والدوحة، والقاهرة، وسواها مؤتمرات وملتقيات للحوار الفكري بين الثقافات شارك فيها المئات من المفكرين والمثقفين ورجال الدين الذي يمثلون

مختلف الأديان والمذاهب الدّينية إلى جانب نظراء لهم من بلدان وأديان أخرى، حيث تناول المشاركون في هذه المؤتمرات بالنقاش والبحث هموماً إنسانية مشتركة (ثقافية ودينية وفكرية). وفي حقيقة الأمر لم يكن الاختلاف في العقائد والمذاهب الدّينية والتوجهات السياسية والرؤى الفكرية والانتماءات العرقية عائقاً أمام الحوار التي أبرز بجلاء القيم الإنسانية المشتركة وسعى جاهداً لتعزيزها وتضافرها باعتبارها إرثاً إنسانياً مشتركاً للإنسانية جمعاء.

وينبغي أن يسفر الحوار الإسلامي المسيحي عن احترام حرية الدين والعقيدة واحترام الرسل والكتب المقدسة، وتحريم تدنيسها أو الإساءة إليها ومنع كل صور ذلك. واحترام الرموز الدينية كافة وتحريم الإساءة إليها ومنعها بكلِّ صورها. وفضلاً

عن القيم الإنسانية المشتركة ثمّة هوامش واسعة من المصالح المشتركة التي ينبغي استثمارها لتفعيل الحوار الإسلامي المسيحي خدمة للبشرية جمعاء وصنع السلام العالمي.

****

الهوامش والمراجع:

1_ الفاروقي، د. إسماعيل: الأسس المشتركة بين الديانتين في المعتقدات ومواطن الالتقاء في ميادين الحياة، ندوة الحوار الإسلامي المسيحي، طرابلس، ليبيا 1976،ص34.

2_ التسخيري، محمد علي: القيم المشتركة بين المسلمين والمسيحيين، مجلة المعارج، العدد 171، 2014، ص89.

3_ الجابري، د. محمد عابد، قيم ثقافة السلام في الديانات السماوية، ص46.

4_ صليبا، المطران جورج: الحوار الإسلامي المسيحي نقاط الالتقاء، فصل في كتاب " الحوار الإسلامي المسيحي " مجموعة مؤلفين، دار المحجة البيضاء، بيروت 2001، ص39.

5_ بترس، المطران كيرلس سليم: أفكار وآراء في الحوار المسيحي الأسلامي والعيش المشترك، المكتبة البولسية 1999، ص.

6_ عون، مشير باسيل: الأسس اللاّهوتية في بناء حوار المسيحية والإسلام، دار الشرق، بيروت 2003،ص47.

7_ عادل تيودور خوري ومشير باسيل عون: العدل في المسيحية والإسلام، لبنان 1996، ص 159.

8_ الحمراني، د.أسعد الإسلام والمسيحية في فضاء القيم المشتركة، مجلة الحوار، العدد 57، دمشق 2006، ص 15.

9_ غيث، بهجق: الحوار الإسلامي المسيحي، دار المحجة البيضاء، بيروت 2001،ص 43.

10_ ملكاوي، فتحي: القيم في القرآن الكريم، بيروت2014، ص 99.

****

الفصل الثالث عشر
الحِوار كوسيلة فعالة لتجنب الحروب وصنع السلام

أولاً: النزاع الدولي.

ثانياً: التوتر الدولي.

ثالثاً: الأزمة الدولية.

رابعاً: الحوار صمام أمان في مواجهة أهوال الحروب.

خامساً: شبح تكرار الشرارة التي أشعلت الحرب العالمية الأولى.

سادساً: الحرب العالمية الثانية: الخسائر الفادحة والدروس والعبر.

سابعاً: الحِوار أم الحرب: خيار العقلاء أم حماقة الأغبياء.

.....

الفصل الثالث عشر

الحِوار كوسيلة فعالة لتجنب الحروب وصنع السلام

اتسمت العلاقات بين الثقافات منذ القديم بالتبادل التجاري والمثاقفة المتواصلة وتبادل المأثورات الشعبية والعمل المشترك الذي يقتضيه احتياج كلّ ثقافة للأخرى.

ورغم امتداد التأثير المتبادل بين الثقافات من التأثير الاقتصادي والعلمي والثقافي والتراثي والفني إلى التأثير المتبادل بين الأديان، إلاَّ أنَّ شبح الاختلافات المؤدية إلى النزاعات الدولية تظهر بين الفينة والأخرى تغذيها عوامل متعددة منها نظريات صِدام الحضارات والحملات

الإسلامية الأمر الذي ينذر بأفدح المخاطر المهددة للسلم والأمن الدوليين.

النزاع الدولي

المقصود بالنزاع هو الخلاف الخطير الناشئ عن اصطدام وجهات النظر بين دولتين وتعارض مصالحهما بشكل تعذرت معالجته بالطرق الدبلوماسية وصار يهدد بلجوئهما أو إحداهما إلى القوة المسلحة في سبيل دعم مطالبها[1].

وعموماً ينشأ النواع الدولي عن عدم التطابق في وجهات النظر أو الآراء أو المصالح.

وثمّة تعريفات أخرى لا يسع المجال لإيرادها كلها.

.....

[1] – مهنا ، د. محمد نصر : العلاقات الدولية بين العولمة والأمركة ، المكتب الجامعي ، الاسكندرية ، مصر 2006 ، ص45 .

التوتر الدولي

التوتر هو ذلك القلق النفسي الذي يسود العالم بأسره أو مناطق واسعة منه وينشأ عن أسباب متعددة تهدد السلم الدولي وتنذر بحرب محلية أو اقليمية قد تتحول إلى حرب عالمية، وقد تحمل طابعاً دينياً أو عرقياً.

ومن أهم الأسباب الباعثة على التوتر الدولي:

1- **قتل رئيس دولة كبرى أو رئيس حكومتها أو قتل زعيم ديني عالمي كبير.**
2- **إدلاء رئيس دولة كبرى أو زعيم ديني عالمي كبير بتصريح ينطوي على إثارة الكراهية الدينية أو العرقية، ومن ذلك تصريح الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن عشية الحرب على العراق عام 2003 بأن هذه الحرب هي امتداد**

للحروب الصليبية، وتصريح بابا الفاتيكان السابق المسيء للدين الإسلامي الحنيف.

3- تدمير مكان عبادة كبير يخص إحدى الديانات الكبرى.

4- الحروب الإعلامية والنفسية.

5- الاعتداء على حدود إحدى الدول ... الخ

الأزمة الدولية

تشهد العلاقات سلسلة من الأزمات الدولية المتلاحقة التي يعود بعضها لأسباب تتعلق بعوامل ثقافية أو دينية وبحسب رؤية (تشالز هيرمان) تتسم الأزمة الدولية بخصائص ثلاثة هي: ((موقف يتضمن درجة عالية من التهديد للأهداف والقيم والمصالح الجوهرية للدول والأطراف، وموقف يدرك فيه صناع القرار أن

الوقت المتاح لصنع القرار يصير غير ذي جدوى في مواجهة الموقف الجديد وموقف مفاجئ حيث تقع الأحداث المؤدية للأزمة على نحو مفاجئ لصناع القرار)).

وهكذا فالأزمة هي حدثٌ أو موقفٌ مفاجئ يؤدي إلى تغير في البيئة الدولية يتطلب تدخلاً دبلوماسياً سريعاً لوقفه ومواجهة تداعياته المتوقعة.[2]

خصائص الأزمة الدولية

رغم اختلاف تعريفات الباحثين والمحللين لمفاهيم الأزمة إلا أن معظمهم يتفق على أن الأزمة هي موقف يتسم بخصائص ثلاثة هي[3]:

1 –التهديد:

[2] – مهنا ، د. محمد نصر : إدارة الأزمات السياسية ، جامعة اسيوط ، مصر 1997 ، ص7 .

[3] – عليوة ، د. السيد : الإدارة العامة ، القاهرة 2000 ، ص24 .

هو الإجراءات والأفعال التي تصدر من أفراد أو مجموعة أفراد أو نظام معين سواء بالإشارة أو القول أو الفعل من أجل الاستجابة لمطالب أو شروط محددة يسعى الطرف الأول لتحقيقها على حساب الطرف الثاني مع التلويح باستخدام القوة المسلحة عند عدم الاستجابة لهذه المطالب ومن هنا تبدأ الأزمة.

آ –أنواع التهديدات هي:

- تهديد سياسي: هو عبارة عن أفعال وردود أفعال تجاه الدول الأخرى، وهذا التفاعل قد يأخذ صورة صراعية في شكل تهديد بالأقوال والتصريحات.
- تهديد عسكري: وهو ما يتمثل تهديد باستخدام القوة أو التلويح باستخدامها،

وقد يتمثل أيضاً في زيادة حجم التسليح أو دخول سلاح نوويّ لإحدى الدول المعادية.

- تهديد اقتصادي: ويتمثل في فرض قيود على استيراد بعض السلع الهامة أو في فرض قيود على تصدير سلعة معينة تهدد الدخل القومي أو في فرض حصار اقتصادي أو منع استخدام موانئ لدولة مجاورة.
- تهديد ثقافي: ويتمثل في غزو البلاد فكرياً عن طريق الإرساليات أو البعثات الأجنبية أو الأفلام والمؤسسات المواجهة أو الحملات الإعلامية، وتندرج مظاهر العولمة الفكرية والثقافية والإعلامية ضمن التهديد الثقافي.
- تهديد اجتماعي: نتيجة ازدياد التناقضات العرقية أو الدينية أو الايديولوجية مما يسبب في حدوث أزمات في النهاية.

ب – مصادر التهديد هي:

- التهديد الداخلي: هو التهديد الذي يصدر من فرد أو جماعة أو تنظيم داخل الدولة لفرض شروط معينة أو لتحقيق مطالب محددة.
- التهديد الخارجي: وهو التهديد الذي يصدر من خارج الدولة لتحقيق مطالب محددة.

ج – أدوات التهديد هي:

- الأفراد: وتستخدم التهديد بالإشارة أو بالتصريحات والقول أو باستخدام الاسلحة.
- الجماعات: تستخدم التهديد بالتصريحات أو الأعمال العدائية باستخدام السلاح.
- الدول: قد تقوم الدولة بتهديد دولة أخرى كوسيلة للرد أو لتحقيق هدف سياسي أو عسكري أو اقتصادي طبقاً للهدف المختار.

أسلوب التهديد:

- قد يكون التهديد باستخدام الأقوال أو التصريحات أو بأداء عمل معين ضد الطرف الآخر كالاتفاقيات أو باستخدام القوة المسلحة بين دولتين لتحقيق هدف أو مصلحة معينة.

2 – المفاجأة:[4]

قد تكون في المكان أو في الزمان وعلى الطرف الذي يستخدمها أن يخطط تماماً لاستثمار نتائجها في سرعة تنفيذ ما خطط من قبل.

3 – ضيق الوقت:[5]

الحدث المفاجئ لا يتيح وقتاً كافياً للرد والاستجابة له والتفاعل مع معطياته وتداعياته، ويجب أن يكون الرد عليه سريعاً للغاية لما يحمله

[4] – مهنا ، محمد نصر : إدارة الأزمات السياسية ، مرجع سابق ، ص11 .

[5] – المرجع السابق نفسه ، ص12 .

من تهديد للمصالح القومية، وينبغي الإسراع باتخاذ القرار المناسب قبل أن تتطور الأزمة وتستفحل.

.....

الحِوار صمَّام أمان في مواجهة أهوال الحروب

كثيراً ما تؤدي الاختلافات بين الثقافات في عالمنا المعاصر إلى ضروب شتى من العنف السياسي كالأعمال الإرهابية، وقد يصل الأمر لدرجة اندلا ع حرب مدمرة لا تبقي ولا تذر، ولا سيما مع وجود نظريات هدامة تروج لـ (صِدام الحضارات) كما في نظريات (هنتنغتون وبرنارد لويس) وسواهما.

تساعدهم آلة إعلامية غربية هائلة تروج لصدام قادم على خلفية ثقافية ودينية بين البلدان المسيحية والبلدان الإسلامية.

إن الحرب قديمة قدم الوجود الإنساني على كوكب الأرض ، (فمع الحضارة ولدت الدولة ونشأت المؤسسة العسكرية الذكورية ، ومع ولادة التخصصات في المجتمع وتطور التقانية ازدهرت العلوم العسكرية والتكنولوجيا الحربية ، وبتعانق هذا الثالوث المشؤوم (المؤسسة + العلوم + التكنولوجيا) ولدت الحرب من رحم العنف ، صغيرة ضعيفة لتكبر وتنمو بأشد من السرطان ، ومع تطور آلة الحرب وعلوم استخدامها ، وضخامة المؤسسة العسكرية واستفحالها وتغول الدولة ، تفجرت الحروب والصدامات كتحصيل حاصل وكنتيجة حتمية

تحت ستار الدفاع المشروع عن النفس ، أو أن الهجوم هو خير وسيلة للدفاع ، أو نتيجة للأطماع والهيمنة والسيطرة والاستغلال))[6] .

وإذا ألقينا نظرة خاصة إلى (الحرب العالمية الأولى والثانية) التي تعد أكبر الحروب التي خاضها العالم نجد أنها كانت في داخل الحضارة الغربية ذاتها، حيث تغلبت الأطماع ومصالح الدول الضيقة والأحقاد والكراهية على وحدة الثقافة والدين والمدنية الحديثة والجوار.

ويمكننا أن نقرع ناقوس الخطر لأن سيناريوهات شبح هذه الحروب المدمرة التي حصدت أرواح أكثر من ستين مليون إنسان، فضلاً عن عشرات ملايين الجرحى والمعوقين يمكن أن تتكرر مجدداً بحجج دينية وثقافية تخفي أطماعاً

[6] – جلبي ، د. خالص : بناء ثقافة السلام ، دار المنير ، ط1 ، دمشق 1999م ، ص112 .

في موارد الدول العربية والإسلامية وأسواقها ومنافذها البحرية.

هنا يمكن للحوار الثقافي مع الغرب أن يشكل مصدراً وقائياً وصمام أمان لدرء نشوب هذه الحرب المدمرة المحتملة التي ليس من المستغرب اندلاعها على نحو كارثيّ عقب حدث إرهابيّ كبير كتفجير مقار سيادية لدول عظمى (وزارات دفاع وداخلية وخارجية) أو اغتيال قادة دول عظمى (لا قدر الله) ولنا في النتائج الكارثية التي أعقبت أحداث الحادي عشر من سبتمبر أكثر من إنذار وعبرة وعظة.

ويمكن للأجندة الدبلوماسية العربية الرسمية والحوارية الثقافية الرسمية وغير الرسمية أن تتوجه لعمل دبلوماسي وثقافي وفكري كبير يتجلى بتنفيذ النظريات الغربية المبشرة بـ (صراع

الحضارات) والتي روج لها (هنتنغتون و بايبرز و برنار لويس)[7] وغيرهم من دعاة الصدام الحضاري والحروب الثقافية وكذلك الرد الإعلامي الصحيح والذي أوضحنا جانباً منه في بحث ((شبكة تلفزة الحوار)) على آلة الإعلام الغربية المتأثرة بنظريات الصدام الهدامة والمروج لها ليل نهار والتي تروج لنظريات الصدام الحضاري ودعاته ((بأبشع صورها، ومن أهم أسباب هيمنة هذا النموذج على ساحة الحوار هو اختطاف أمثال أعضاء القاعدة للدين الإسلامي، ووصمه بمعاداة أتباع الأديان الأخرى ، وهنا يتم – بقصد أو بدون وعي – التأكيد على صلاحية هذا النموذج بالتفاعلات السلبية المروجة له، والمستخدمة للترويج لهذا النموذج

[7] – حسن ، وجيه حسن : حروب الهوية ومستقبل التفاوض مع الغرب ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة 2002م ، ص115-116 .

الصِدامي، ومما دعم هيمنة النموذج الصدامي وجود خطابات اللا حواريين واللا تفاوضيين ، أي الرافضين لأي حوار، خاصةً في عالمنا العربي الإسلامي، لعدم رؤيتهم للقطاعات الأكبر، غير المؤثرة تماماً إلى الآن في العالم، والمناهضة لفكر الصدام بدلاً من الرد العلمي للكشف عن ضعف وسذاجة هذا النموذج العدائيّ، وإنشاء رؤوس جسور مع من يقفون على مربعاتنا المضادة نفسها للنموذج الصِدامي، حتى ولو كان الأمر تحكمه دوافع مختلفة .. فإن مثل هذا التحرك الإيجابي يمنع على الأقل التعبئة الجائرة ضدنا أو مزيداً منها))[8]

إن التأثير المتبادل بين الحضارتين الإسلامية والغربية واحتياج كلّ منهما للأخرى يمكنه أن

[8] – وجيه، د. حسن: حوار الثقافات: إدارة الأجندات والسيناريوهات المتنازعة، دار الفكر، دمشق 2008، ص125.

يدحض تماماً نظرية تصادم الحضارات ويفند آراء مروجوها الذين ينفخون أبواق الحرب والكراهية وسائل الإعلام ليلاً نهاراً ذلك أنهم يقدمون تصورات خاطئة واقعياً وفكرياً وتاريخياً عن تنازع الأديان والثقافات فالمتحركات الدينية والأخلاقية بين الأديان التوحيدية الثلاث – اليهودية والمسيحية والإسلامية – تفوق بكثير الاختلافات الموجودة.

إن حوارنا القادم مع الغرب وعبر كافة القنوات الدبلوماسية الرسمية والفكرية غير الرسمية من خلال مؤتمرات حوار الثقافات ولقاءات رجل الفكر يجب أن يرتكز على ضرورة حل كافة المشكلات الملّحة مثل الحروب والاحتلال الأجنبي والفقر والتوزيع غير العادل للموارد والاحتكار المعرفي والتقاني.

شبح تكرار الشرارة التي أشعلت الحرب العالمية الأولى

(كفى بالحرب واعظاً)

قبل نحو قرن من الزمان وفي يوم 28 حزيران (يونيو) من عام 1914 اختبأ شاب صربي يدعى (جامزيلو برنسيب) عمره /19/ عاماً عضو منظمة صربية إرهابية تدعى (منظمة الكف الأسود) في أحد شوارع مدينة سراييفو وبيده مسدس محشوٍّ بالطلقاتِ، يشدُّ بقبضته على الزناد منتظراً مرور موكب الأرشيدوق (فرانتس فيرديناند) ولي عهد امبراطورية النمسة وهنغارية، فعاجله وزوجته الكونتيسة (صوفي شوتيك) برصاصات غادرة أحالتهما إلى عالم الأموات.

فما هي النتائج الكارثية المروّعة والآثار الرهيبة التي أعقبت هذا الحادث المأساويّ؟!

لقد غرق العالم بطوفان دماء ثمانية ملايين جندي تضرجوا بدمائهم في ساحات المعارك بعد طلقات الشاب الصربي.

هكذا وبكلِّ بساطةٍ تورط العالم بالحرب العظمى أو الحرب العالمية الأولى التي خلفت فضلاً عن الثمانية ملايين قتيل عشرات ملايين الجرحى والمعوقين واليتامى والآرامل والمشردين .

وهكذا يمكن أن تندلع حرب كونية جديدة لا تبقي ولا تذر جراء أي عمل إرهابي طائش ولا سيما في ظل صعود الأصوليات الإسلامية والمسيحية واليهودية وغياب أي اتفاق دولي على تحديد موقف موحد من الإرهاب وتعريفه

وتحديده والتفريق بينه وبين المقاومة المشروعة للاحتلال.

إنَّ الشحن الديني ضد العرب والمسلمين الذي يشهده عالمنا المعاصر والذي تروج له عشرات الفضائيات الغربية الممولة من اليمين المسيحي المتهيمن واللوبي اليهودي وانتشار تنظيم القاعدة بمسمياته المختلفة عبر العالم ينذر باندلا ع حرب عالمية جديدة بين الغرب والعرب تحرق الأخضر واليابس وقد تكون سبباً لدمارٍ نوويٍّ شامل لم تعرف البشرية مثيلاً له من قبل.

ويكون الكلُّ فيها خاسر، ولا سيما عالمنا العربي والإسلامي لانعدام التوازن العسكري والمالي والتكنولوجي مع الغرب .

وما يؤسف له حقاً أن كافة المعطيات السياسية والاقتصادية والجيوبوليتيكية[9] والنفسية تؤثر إلى أن احتمالات الصِدام بين العالمين العربيّ المسيحيّ والعربيّ الإسلاميّ قائمة وقد تكون بحاجة إلى عودِ ثقابٍ مشتعلٍ يُلقى على برميلِ بارودٍ.

وما يؤكد هذا الرأي ظهور كتابات غربية كثيرة تشير إلى انحطاط الغرب واندفاعه لارتكاب أفظع الفظائع في سبيل تحقيق مصالحه الاقتصادية وهيمنته على العالم ولو على أشلاء ملايين الضحايا.

يقول الفيلسوف والمؤرخ الألماني (اوسفالد شبينجلر) في كتابه (تدهور الحضارة الغربية):

[9] – الجيوبوليتيك: الوضع الجغرافي السياسي .

((إن الاستعمار هو الرمز المميز لاحتضار الحضارة الغربية وموتها))[10].

((في مجراه وديمومته، هذا الانحطاط الذي سيشغل القرون الأولى من الدورة الألفية القادمة، والذي نرى الآن طلائعه ونحس به من حولنا، وأعني به انحطاط الغرب[11])).

الحرب العالمية الثانية:

الخسائر الفادحة والدروس والعِبر

عندما نقلّب صفحات التاريخ في الفترة الممتدة بين اليوم الأول من شهر أيلول (سبتمبر) من عام **1939** ومنتصف ليلة الثامن – التاسع من أيار (مايو) من عام **1945** ، أي الفترة التي امتدت خمس سنوات وثمانية أشهر وسبعة أيام ،

---

[10] – شبينجلر ، اوسفالد : تدهور الحضارة الغربية المجلد الأول ، ت : أحمد الشيباني ، دار الحياة ، بيروت 1964 ، ص97 .

[11] – شبنجلر ، أوسفالد : تدهور الحضارة الغربية ، ت : أحمد الشيباني ، ج1 ، منشوراتد دار الحياة ، بيروت 1964 ، ص218 .

وهي الفترة بالتمام فترة الحرب العالمية الثانية عندما نقلب صفحات هذه المرحلة المأساوية من تاريخ العالم نُصابُ بالذعرِّ والرعب لهولِ هذه الحرب المدمرة وفداحة خسائرها البشرية والعمرانية والاقتصادية، حيث ((كانت الحصيلة مقتل ما يزيد عن خمسين مليوناً من البشر ، وأكثر من ثمانين مليون جريح ومفقود ومعاق خسر فيها الروس لوحدهم أكثر من عشرين مليون إنسان ، وخسر الألمان ما يزيد عن ستة ملايين من البشر ، وأصبح أكثر من مليون طفل ألماني يتيماً ، وهاجر وهُجّر ما يزيد عن عشرة ملايين من الألمان من مناطق خارج ألمانية ، ودفع العالم /1384000/ مليون دولار ثمناً لنفقات الحرب ، ناهيك عن مبلغ /260000/ مليون دولار /260/ مليار دولار قيمة ما دمرته

الحرب التي امتدت آثارها إلى /59/ دولة دخلت طرفاً فيها ، وأظلمت مدن أوربة على مدار السنوات الست ، فلم تعرف سراجاً أو مصباحاً كهربائياً في الليل ، وتحولت كافة مصانع أوربة لإنتاج السلاح وحشر الملايين في معسكرات السخرة ، ومات منهم الألوف[12]))

أما عن وصف ظروف العرب المأساوية فذلك ما لا يتسع عشرات المجلدات المصنفة، حيث ((كان القتال الضاري في البرد وعواصف الثلج فصلاً مأساوياً قائماً بذاته، فالرياح الثلجية الآتية من الشرق كانت تصفع الوجوه التي أكلتها والتهمتها اللحى الطويلة وآلاف من البلورات الثلجية الصغيرة كانت تمزق هذه الوجوه وكأنها شفرات حلاقة ، الوجوه التي لم

[12] – لاوند ، رمضان : الحرب العالمية الثانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ص270 .

يكن قد بقي منها غير الجلد والعظم ، وبقدر ما كان الإنهاك الشديد مستولياً على الرجال فقد كان الجوع مستولياً عليهم بالقدر نفسه ، هذه الرياح الثلجية كانت تدبغ جلود الرجال وتنتزع دموعاً من عيونهم الغارقة وهي أشبه ما تكون بالكهوف ، كما كانت هذه الرياح تخترق ثياب الجنود المهلهلة حتى تبلغ العظم، وعندما يفقد واحد من هؤلاء الرجال كلّ قدرة له على الحركة،لا يلبث جسده الخاوي أن يتساقط ويتجمد تجمداً تاماً ، تماماً كالآلة التي تتوقف بعد أن تستهلك آخر قطرة من وقودها ، ويمتد كفن من الثلج ليغطي هذا الشيء المتجمد باستثناء طرف الحذاء أو ذراع تجمدت وهي

مرتفعة قليلاً ، وكان هذا المشهد شاهد على أن في هذا المكان جثة جندي هامدة[13])) .

لقد استعرت هذا التصوير البليغ لأهوال الحرب الكونية الثانية وخسائرها المدمرة ونتائجها الفادحة من الباحث (رمضان لا وند) لأدلل على أن الحرب هي أكبر جريمة بحق الإنسانية جمعاء وأن الحوار بين الثقافات والدول مهما كان شاقاً ومضنياً وطويلاً لا يعادل مقتل إنسان واحد تزهق روحه بينما تنتظره أمه أو زوجته أو حبيبته بفارغ الصبر فكيف كانت الخسائر الكارثية ترتقي لستين مليون قتيل هم ضحايا الحرب العالمية الأولى والثانية عدا عشرات ملايين الجرحى والمعوقين والمفقودين والآرامل والأيتام كما رأينا آنفاً.

---

[13] – المصدر السابق نفسه : ص271 .

وكيف إذ كانت الحروب القادمة هي أشد فتكاً وتدميراً لأن التكنولوجيا العسكرية قطعت أشواطاً بعيدة في ابتكار الأسلحة الشيطانية القادرة على قتل عشرات الملايين من البشر بدقائق قصيرة، وفي مقدمتها الأسلحة النووية، ولا سيما من الجيل الثالث والرابع وهي الأشد فتكاً وتدميراً وقدرة على محو مدن ودول كاملة من الخارطة لساعات قليلة.

هكذا ينبغي أن يكون الحوار مع الغرب خصوصاً والعالم أجمع عموماً هو الخيار المصيري الاستراتيجي أمام العرب والمسلمين لحل كافة المشكلات بعيداً عن سماسرة الحروب وتجار الأسلحة من الدول الكبرى الذين ينتصرون فقط من يكون انتصاره في مصلحتهم.

وليكن خيارنا الآخر الأكثر أهمية هو السعي لصنع (ثقافة السلام) لأنها المركب الآمن المؤدي إلى الخير والرفاه والتطور للبشرية جمعاء ((لأن صنع ثقافة السلام شرط لقيام العيش المشترك معاً بسلام، وهذه الثقافة – التي ينبغي أن نصنعها – هي التي تبدل الذهنية الجماعية التقليدية التي تنظر إلى العنف على أنه بطولة، بدلاً من النظر إليه على أنه جريمة، ومالم نحقق هذه النقلة الثقافية والقطعية المعرفية فلن نكون قد صنعنا شيئاً فكما كانت الجراثيم القاتلة قبل كشفها ومعرفة كيفية التعقيم، كانت مبثوثة في أعيننا، وكانت تداهمنا من غير أن نعرف كيف تأتي وتحصد الناس، كذلك فإن الجراثيم الفكرية الثقافية المبثوثة في أغذيتنا الفكرية تأتي

وتحصدنا[14])) وكفى بالنتائج الكارثية للحرب العالمية الأولى والثانية واعظاً ونذيراً وجرساً ينذرنا بالخطر القادم على الدوام .

الحوار أم الحرب:

خيار العقلاء أم حماقة الأغبياء؟

إنَّ على عقلاء العرب والغرب أن يختاروا الحوار بديلاً عن تكريس التعصب والكراهية التي تمهد الطريق لقرع نواقيس الحروب المدمرة التي ستكون انتحاراً شاملاً لأنها حروب التكنولوجيا والجحيم النووي الشامل.

ولندرك نحن العرب قبل غيرنا أن الحروب هي حروب المتخلفين فقط ذلك أن التطور التكنولوجي المذهل وكوارث الحروب السابقة لقنت الدول دروساً لا تُنسى، فحل المشاكل

[14] – جلبي ، د . خالص : بناء ثقافة السلم ، دار المنير ، ط1 ، دمشق 1999 ، ص63 .

بالحوار هو الطريق الأجدى، وهكذا تتقارب فرنسة وألمانية لأول مرة رغم ما بينهما من حروب مدمرة سابقة.

ولنتذكر أن الحروب يصنعها الكبار ويدفع فاتورتها الصغار ويكونوا وقودها وقرابينها.

فهل ننجح في تبني خيار الحوار والسلم والعلم المنبثق من التعاليم الإسلامية السامية الداعية إلى المحبة والتعاون والتسامح والسلم.

متذكرين نبأ النبي آدم وقوله تعالى: ((لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إنّي أخاف الله رب العالمين)).

****

الفصل الرابع عشر
دور المنظمات العربية والاقليمية والدولية في حِوار الثقافات

الفصل الرابع عشر

دور المنظمات العربية والإقليمية والدولية في حِوار الثقافات

مع بداية الألفية الثالثة واعتبار عام 2001 عاماً للحِوار بين الحضارات بدأ المجتمع الدولي ممثلاً بمنظماته المختلفة ببذل الجهود الكبيرة من خلال الندوات والمؤتمرات واللقاءات والإصدارات في مجال قضايا الحوار دعماً لترسيخ مفاهيمه في العالم نصرة لقضايا المحبة والسلم ورداً على دعاة صِدام الحضارات ونهاية التاريخ. وسنعرض في هذا المجال نبذة عن جهود المنظمات التالية:

1- منظمة الأمم المتحدة.

2- جامعة الدول العربية.

3- منظمة المؤتمر الإسلامي.

4- المنظمة الفرانكفونية الدولية.

أولاً: جهود منظمة الأمم المتحدة[15]

أقرت الأمم المتحدة في دورتها الـ /53/ تاريخ 4 تشرين الثاني 1998م القرار رقم /22/ المتضمن العمل على إعلان عام 2001 عاماً للحوار بين الحضارات، وقد عدته الدول والقوى المحبة للسلام في العالم رداً عملياً من المجتمع الدولي على دعوات صراع الحضارات والادعاء بالتباين والتمايز بين حضارة وأخرى، وعلى مقولة نهاية التاريخ لفوكوياما.

---

[15] – أنظر : شدود ، د. ماجد : حوار الحضارات ، هيئة المعلومات للنشر ، دمشق 2002 ، ص59-61

وانظر : عبد الناصر ، د. وليد : حوار الحضارات على أجندة العلاقات الدولية ، مجلة السياسة الدولية ، كانون الثاني 2002 العدد 47 .

ومنذ تبني الجمعية العامة للقرار السابق، بدأ الأمين العام للأمم المتحدة تقديم تقارير سنوية للجمعية العامة في دورتها رقم /54/ لعام 1999م والدورة /55/ لعام 2000، والدورة /56/ لعام 2001، والدورة /57/ لعام 2002 كما عمدت الجمعية العامة سنوياً إلى تبني مشروع قرار بشأن العام المحدد لحوار الحضارات والمنظمات الإقليمية في هذا المجال. ولتوسيع دائرة العمل شكل الأمين العام للأمم المتحدة فريق خبراء يضم /19/ خبيراً من دول متعددة وخلفيات حضارية وثقافية متنوعة لإعداد تقرير للأمين العام للأمم المتحدة للجلسة الخاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة المتعلقة بحوار الحضارات التي عقدت في 9-10

تشرين الثاني 2001 تنفيذاً لقرار الجمعية العامة السابق.

وأكدت التقارير التي أعدها الأمين العام للأمم المتحدة منذ عام 1998 على الربط بين حوار الحضارات ومفاهيم التعددية والتنوع ، وعدت رفض هذه المفاهيم أحد الأسباب الدافعة للحروب والصراعات في العالم ، بما في ذلك ما سمته سابقاً الممارسات العنصرية والتعصب الديني ، كما ركزت هذه التقارير على الربط بين حوار الحضارات وما يدور من نقاش حول العولمة ومحاولات الهيمنة التي تقودها الدول القوية التي تستهدف صياغة علاقات دولية تستجيب لفكرة صراع الحضارات وضرورة إيجاد (عدو) مباشر ومستمر في المجتمع الدولي لتبرير سيطرتها وهيمنتها على الدول والشعوب كافة .

ولذلك عدت الجمعية العامة حوار الثقافات مدخلاً لتعزيز العلاقات وترسيخ مظاهر التعاون والتنسيق فيهين الدول وإنهاء ظاهرة استخدام القوة أو التهديد باستخدامها، وكما عدت إنجازات الثقافات إرثاً مشتركاً للإنسانية جمعاء مع الأخذ بالحسبان خصوصية كلّ ثقافة.

وربطت بين حوار الثقافات وثقافة السلام ودعت لاحترام التباين الثقافي مع الأخذ بالحسبان خصوصية كلّ ثقافة.

وربطت بين حوار الثقافات وثقافة السلام ودعت لاحترام التباين الثقافي والعقائدي واللغوي.

وأكدت قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة أن العولمة ليست مجرد ظاهرة اقتصادية ومالية وتقنية بل تحدياً يدعو للهيمنة.

وطالبت القرارات الدول كافة بضرورة تدريس إنجازات الثقافات الأخرى بما يدعم الفهم والاعتراف المتبادل بين الثقافات كافة.

وكذلك على اعتبار التنوع سمة أساسية أصلية للفلسفة العامة التي على أساسها أحدثت الأمم المتحدة عام 1945 وجسدت ذلك في ميثاقها، ووعدت الجمعية العامة بالقيام بأنشطة عامة ومتنوعة في أنحاء العالم كله لتشجيع الحوار بين الثقافات من قبل الحكومات والمؤسسات المختلفة.

وأكدت المناقشات في الجمعية العامة خلال المرحلة الماضية أن التنوع الحضاري والثقافي عامل إثراء لتقدم البشرية وتطورها ، وأنه من الضروري تفعيل الحوار بين الثقافات وتوسيعه خاصة بعد

أحداث الحادي عشر من ايلول 2001
والتأكيد على إدانة الإرهاب ومواجهته
بتدعيم الحوار ونبذ الصراع أو إلصاق
تهمة الإرهاب بثقافة أو دين وإبراز الدور
المحوري للأمم المتحدة في حوار الثقافات
وربط الحوار بميثاق الأمم المتحدة
وأهدافها ومبادئها ومبادئ حقوق
الإنسان والأخذ في الحسبان التعددية
الثقافية ، وتجنب ادعاء ثقافة ما بالتفوق
أو الرغبة على غيرها من الثقافات
والإعراب عن التقدير لدور منظمات في
تشجيع حوار الثقافات وربطه بصياغة
منظومة جديدة للعلاقات الدولية ،
ودعت الدول إلى احترام المعتقدات
الدينية للشعوب واحترام الكرامة

الإنسانية ومبادئ العدالة ورفض فكرة العولمة التي تستهدف إقصاء الثقافات لمصلحة ثقافة واحدة ، وعد خصوصية كل ثقافة مصدر إثراء لمسيرة الحضارة الإنسانية .

ثانياً: جهود جامعة الدول العربية[16]

بدأت جامعة الدول العربية نشاطات متعددة لتوسيع فكرة حوار الثقافات ونقلها من الإطار النظري إلى الواقع العملي، وتجلى في مجموعة من الفعاليات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

_تنسيق المواقف بين الدول العربية من أجل بلورة موقف عربي موحد من قضية

[16] – محاضرات في حوار الحضارات ، ندوة علمية ، دمشق 2001م .
وانظر : شدود ، د. ماجد : حوار الحضارات وآفاق المستقبل ، إصدار الاتحاد ، دمشق 2002 ص102 .

الحوار داخل الأمم المتحدة وعلى الصعيد الدولي

وتجسد ذلك في الدورة /54/ للجمعية العامة كانون الأول عام 1999 التي عرض منها الموقف العربي الموحد من الحوار بين الثقافات والذي استند إلى إيمان الدول العربية بحوار الثقافات ونبذها للصراع في المجتمع الدولي ، وبين الدور الفاعل للحضارة العربية الإسلامية في إثراء الحضارة الإنسانية ، حيث شكلت إنجازاتها الثقافية جسراً من الإبداع ربط الحضارة القديمة بالعصر الحديث الذي أدى إلى الإنجازات الحالية التي تعد تراثاً مشتركاً للبشرية ، وبين التحديات الخطيرة التي تطرحها ظاهرة العولمة في ظل غياب المعايير الدولية الواحدة ، وعدم احترام الشرعية الدولية ، وسيادة منطق القوة

والهيمنة وتهديد الهوية القومية والخصوصية الثقافية للشعوب والأمم الأخرى .

وأكد البيان أهمية حوار الثقافات كأداة لمواجهة هذه الأخطار والتحديات، هذا الحوار الذي يجب أن يرتكز على الفهم المشترك والمساواة والعدالة والتسامح، ويهدف إلى إزالة جميع أشكال الاحتلال والهيمنة الخارجية واحترام سيادة الدول ووحدتها واستقلالها وعدم التدخل في شؤونها الداخلية، وإزالة العقبات التي تقف أمام الشعوب في تقرير مصيرها وتحديد مستقبلها، وعدم استخدام القوة أو التهديد بها وعدم جواز اكتساب أراضي الغير بواسطة الحرب.

وبين أهمية الحوار والتوصل إلى سلام عادل في المنطقة وفقاً لقرارات الشرعية الدولية، والتأكيد

على الدور المحوري للأمم المتحدة في حوار الثقافات.

- بدأت جامعة الدول العربية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر نشاطات متعددة في مجال حوار الثقافات خاصة بعد التهديدات الأمريكية والغربية للدول العربية ، ومحاولتها الربط بين الإرهاب والعروبة والإسلام وما رافق ذلك من محاولات سياسية وإعلامية وثقافية كان لإسرائيل والصهيونية العالمية دور محرك لتشويه صورة العرب والحضارة العربية الإسلامية، بالإضافة إلى المخاطر التي بدأت تواجه الجاليات العربية والإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا والدول الأخرى، وتعرضهم لمعاملات تمييزية ، والانعكاسات المحتملة

على العلاقات السياسية بين الدول العربية والإسلامية من جهة وبقية الدول الأخرى ، ونتيجة ذلك وعدت جامعة الدول العربية والدول العربية ضرورة القيام بجهود متعددة ومتنوعة الأساليب والصيغ وتجسد هذا التحرك من خلال :

آ – التحضير لعمل فكري كبير يقام في إطار جامعة الدول العربية يشارك فيه المثقفون والأكاديميون والمفكرون العرب من مختلف الدول والمراكز البحثية العربية داخل الوطن العرب وخارجه لبلورة صيغة عملية ومحددة تشكل تحديد الطرق والأساليب لمواجهة الحملة على العرب والمسلمين وتصحيح مصادر الخلل الفكري والثقافي داخل الوطن العربي وصورة العرب والمسلمين في الخارج ، وأقرت هذه

المبادرة في اجتماع لوزراء الخارجية العرب على هامش الاجتماع الاستثنائي لوزراء منظمة المؤتمر الإسلامي الذي عقد في الدوحة عاصمة قطر بين 8–9 تشرين الأول عام 2001م.

وتم وضع ورقة عمل للتحضير لهذا العمل الفكري مع برنامج تنفيذي وإجراءات مناسبة سريعة قابلة للتحقيق على المدى القريب والبعيد استهدف توضيح الحضارة العربية الإسلامية وإسهاماتها في الحضارة الإنسانية والعمل على تصحيح المفاهيم المغلوطة عن العروبة والإسلام وأدت الورقة على ضرورة التنسيق بين جامعة الدول العربية والأمم المتحدة ومنظمة المؤتمر الإسلامي وجميع المنظمات والمؤسسات الدولية والإقليمية ، وصياغة مشروع متكامل لحوار الحضارات تشارك الجامعات والمراكز البحثية

العربية والإسلامية والمغتربين العرب ، وتم انعقاد هذا المؤتمر في 2001/11/26 في جامعة الدول العربية بالقاهرة تحت عنوان (حوار الحضارات تواصل لا صراع) بمشاركة أكثر من مئة من المفكرين والمثقفين من الدول العربية وممثلين عن الجاليات العربية في دول المهجر في أوربا وأمريكا وناقش المؤتمر على مدى يومين أربعين ورقة عمل مقدمة من المفكرين والمثقفين العرب تناولت أهمية الحوار بين الثقافات وأبرز الجوانب العنصرية والسلبية لنظرية (صراع الحضارات) وكيفية مواجهة الحملة التشويهية التي تستهدف الحضارة العربية والإسلامية والدور المنوط بالمفكرين العرب في هذا المجال وآليات التنسيق والتعاون بين جامعة الدول العربية والمنظمات الإسلامية والإقليمية والدولية

والجامعات ومراكز الأبحاث ، وتوصل المؤتمر إلى بلورة برنامج عمل وخطط عمل تنفيذية لتوسيع أفق الحوار بين الثقافات ، ومواجهة المحاولات الهادفة إلى توسيع نهج الصراع بتوسيع منطق الحوار وترسيخه .

ب – متابعة الجهود مع الدول الغربية لتوضيح الأبعاد الحقيقية للأحداث القائمة وتحديد المواقف الفعلية فهذه الأحداث وإبراز الدور الإيجابي للحضارة العربية الإسلامية وإنجازاتها الكبيرة في الحضارة الإنسانية.

ثالثاً: جهود منظمة المؤتمر الإسلامي[17]

قامت منظمة المؤتمر الإسلامي بنشاطات واسعة في هذا المجال، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

---

[17] – العولمة وصدام الحضارات ، ملف ، مجلة الثقافة العالمية ، العدد 85 ، كانون الأول 1997م .

1- تحديد موقف المنظمة رسمياً من قضية الحوار بين الثقافات من خلال الإعلان الذي صدر في أيار 1999 وسمي بإعلان طهران للحوار بين الحضارات الذي أكد على أهمية الحوار ونبذ استخدام القوة وأهمية نشر روح التعاون والتفاعل والتواصل بين الشعوب وتوسيع ثقافة الحوار والتسامح لمواجهة ثقافة الصراع والانفراد والهيمنة.

2- البرنامج التنفيذي لحوار الحضارات الذي أقره اجتماع وزراء الخارجية للدول الأعضاء في المنظمة الذي أقر في تموز 1999 وشمل البرنامج:

- إبراز أهمية الحوار بين الثقافات.
- تشكيل لجان من الخبراء الحكوميين لإبراز أهمية التعددية الحضارية.

- ضرورة العمل على تحقيق تنمية شاملة على الصعيد الدولي لرفع كفاءة مستوى المعيشة بما يؤدي للاستقرار الاجتماعي.
- تشجيع السياحة الثقافية والدينية للتعرف على ثقافة الآخرين وتعريفهم بالحضارة الإسلامية واكتشاف ما هو مشترك بين الثقافات.
- استخدام وسائل الإعلام في تعميق الحوار وتوسيعه وتقديم نماذج حية للحوار البناء الإيجابي بين علماء ومفكرين ينتمون لثقافات مختلفة.
- توسيع الحوار حول قضايا العدالة الاجتماعية ومكافحة الظلم والحرمان وحماية الأسرة من التفكك والانهيار ودراسة المتغيرات القيمية في المجتمعات المختلفة

وصولاً إلى الترويج لقيم التواصل بين الثقافات، وصياغة منظومة عالمية للقيم والأخلاق.

3- شكلت المنظمة فريقاً من الخبراء الحكوميين لوضع تصور عام لحوار الحضارات بدأ عمله في شباط عام 2000.

4- نظمت المنظمة الإسلامية للعلوم والثقافة ندوة في تموز 2001 في الرباط حول أهمية الإسلام في إرساء منطق الحوار بين الثقافات وتوسيع التواصل الإنساني.

5- القرار الصادر عن اجتماع وزراء خارجية الدول الإسلامية في دورته الـ 28 التي انعقدت في ياماكو بين 25 – 27 حزيران 2001 والذي أكد على أن الحضارة الإسلامية تقوم على مبدأ التعايش السلمي

والتعاون والتحاور مع الثقافات والأديان الأخرى على أساس التسامح والعدل والسلام.

6- الاجتماع الاستثنائي لوزراء خارجية الدول في منظمة المؤتمر الإسلامي الذي عقد في الدوحة بين 8-9 تشرين الأول 2001 بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وركز البيان الختامي الصادر عنه على أهمية حوار الثقافات، وربط ذلك بضرورة تحقيق السلام الشامل والعادل في الشرق الأوسط وتمكين الشعب العربي الفلسطيني من ممارسة حقه في تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس، وإنهاء ازدواجية المعايير في العلاقات الدولية.

7- قدمت المجموعة الإسلامية لدى الأمم المتحدة في نيويورك مشروعاً خاصاً بالحوار بين الثقافات لعرضه على الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الخاصة التي كرست لذلك بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي عقدت بين 8-9 تشرين الثاني عام 2001.

رابعاً: دور المنظمة الفرانكفونية الدولية:

أصدرت المنظمة بياناً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر في إطار إعدادها للقمة الفرانكفونية التي كان من المقرر عقدها في بيروت في نهاية شهر تشرين الأول 2001 ثم أجلت إلى موعدٍ لاحقٍ.

وأكد البيان على قيم التسامح والمساواة في العلاقات الدولية والانطلاق من القيم المشتركة القائمة بين الثقافات، وأهمية الأبعاد الرسمية وغير الرسمية للحوار، وكذلك أهمية التعددية الثقافية وعدم قبول فكرة (الاستثناء الثقافي) كمعيار للسيطرة والانعزال، وحذر البيان من استغلال العولمة لفرض الهيمنة على قواعد الشرعية الدولية، وخطورة العمل لتوحيد النظام القيمي العالمي، وتضمن البيان برنامجاً تنفيذاً لتفعيل الحوار بين الثقافات.

خامساً: ملاحظات على أداء عمل المنظمات العربية والدولية:

واجهت المنظمات العربية والإقليمية والدولية الآنفة الذكر وأبرزها أحداث الحادي عشر من سبتمبر **2001** بسلسلة من الفعاليات

والنشاطات الهامة لكن همتها سرعان ما فترت وبقيت الأفكار حبيسة الأوراق في أجندات العمل المنسية في الأدراج المغلقة، فهل تنتظر هذه المنظمات حدثاً إرهابياً آخر قد يشعل حرباً كونية حتى تتحرك، وتتذكر كل الأطروحات والأفكار التي أنجزتها سابقاً والرؤى السابقة حبيسة الأدراج.

ويقيناً عندها يكون الوقت قد فات لأي حوار أو عمل سلمي أو تحرك ثقافي أممي أو إقليمي. لأن لعنة الحرب عندما تنتشر كهستيريا جماعية من الصعب أن تتوقف بين عشية وضحاها للإنصات للغة العقل.

فهل تتذكر تلك المنظمات العربية والإقليمية والدولية الواجبات المهنية والأخلاقية والإنسانية الملقاة على عاتقها فيما يتعلق بترسيخ ثقافة

الحوار وجعلها ثقافة إنسانية للبشرية جمعاء، وتقوم بكل ما من شأنه درء الصدامات المستقبلية المتوقعة، فدرهم وقاية خير من قنطار علاج كما يقولون.

****

الفصل الخامس عشر
مشكلات الحِوار الراهنة بين العرب والغرب

- مشكلة الحوار بين دول متقدمة وأخرى متخلفة.
- مشكلة الخطاب الإقصائيّ.
- مشكلة قلة الخبراء من ذوي الكفاءة العالية في قضايا الحوار.
- مشكلة عدم وجود قناة تفاعلية حوارية.
- مشكلة ترويج مقولة ((الخطر الإسلامي الأخضر)).
- مشكلة اللا تسامح الغربيّ تجاه العالم العربيّ الإسلامي.
- مشكلة الخطاب التأمري الانتصاري.
- مشكلة الخطاب المتبني للعنف.
- مشكلة التفريق بين الإرهاب والمقاومة.
- مشكلة تصحيح الصورة النمطية السلبية الخاطئة عن العرب والإسلام في الغرب.

- مشكلة فكر المسيحيين المتصهينين.
- مشكلة عدم التفريق بين أوروبا وأمريكا.
- مشـــكلة الغـــرب كمرجعيـــة للخطـــاب الاستقلابي.
- مشكلة الغرب وإشعال الحروب.
- مشـكلة المصـطلحات وصـياغتها ودلالاتهـا وتأثراتها في مسار الحوار.

.....

الفصل الخامس عشر

مشكلات الحِوار الراهنة بين العرب والغرب

تعترض مسيرة الحوار العربي – الغربي مشكلات وعقبات تعوق تقدمه وتشكل بعضها أجندات متنازع عليها، ونقدم أهمها ليطلع عليها المحاور العربي ويتخذها كركيزة معرفية في حواره مع نظيره الغربي بعيداً عن الجمود والجهل والتصلب.

- مشكلة الحوار بين دول متقدمة وأخرى متخلفة:

وهي من أهم المشكلات التي يتعين على الباحثين والدبلوماسيين إثارتها في إطار فعاليات وبرامج ومؤتمرات الحوار مع الغرب ذلك لأن

الطـرف الغـربي ينظـر ((للأسـف الشـديد)) إلى موضوع الحوار على أنه حوار بين دول متقدمة وأخرى متخلفة وأن سبب هـذا التخلـف عـدم التقدم هو الإسلام الذي يراه الطرف الغربي دين يدعو إلى الكراهية والعنف.

وهنا ينبغي على المحاور أو الدبلوماسي العربي أو المسـلم أن يبـين لنظـيره الغـربي الأدلـة الواضـحة والحجـج البليغـة علـى الـدين الإسـلامي الحنيـف ورسـالته السـامية الداعيـة إلى التسـامح والسـلام والإخـاء الإنسـاني وعطاءاتـه للعـالم وتسـامحه مـع كافة أتباع الديانات الأخرى.

- مشكلة الخطاب الإقصائي:

لا يزال الخطاب العربي الإسلامي انعزالياً، حيث يعتبر الدين الإسلامي هو دين الله الموحد، ورغم

صحة هذا الرأي عقائدياً إلا أنه يمثل مدخلاً سلبياً لمحاورة الغرب المختلف عقائدياً.

وهنا ينبغي على العرب والمسلمين تغيير الكثير من هذه الأفكار السلبية وتقديم رؤية منفتحة للغرب والعالم تقوم على أن كافة الأديان السماوية هي أديان الله وأنها جميعها تدعو للخير والمحبة والسلام والتسامح والإخاء الإنساني.

- مشكلة قلة الخبراء من ذوي الكفاءة العالية في قضايا الحوار:

يتطلب الحوار خبراء ذوي كفاءة عالية في ديناميات وآليات وأساليب الحوار مع الآخر، فضلاً عن ضرورة امتلاكهم ثقافة واسعة بالحياة الدينية والتاريخ الغربي والدين المسيحي والتاريخ العربي الإسلامي والدين الإسلامي الحنيف.

ومما يحتاجه المحاور العربي أن يخضع لتدريب منهجي في هذا المجال يتضمن بالإضافة لما سبق دراسة شخصية الإنسان الغربي واتجاهاته وعاداته واهتماماته.

وليعمل المحاور العربي على الوصول إلى الرأي العام الغربي ورجل الشارع بالدرجة الأولى.

- مشكلة عدم وجود قناة تفاعلية حوارية:

يتطلب الحوار مع الغرب ليكون فاعلاً ومثمراً وجود قناة وأوعية تفاعل مستمرة لتقديم معلومات صحيحة للجمهور الغربي حول قيم الحضارة الإسلامية والدين الإسلامي ومعلومات مخصصة عن حياة العرب.

ونظراً لأهمية هذا الموضوع الهام، فلقد خصصت لهم بحثاً كاملاً هو ((شبكة تلفزة الحوار)) وهو أول مشروع عربي يطرح في هذا المجال نأمل

الاستفادة منه سواء على نطاق جامعة الدول العربية أو المؤتمر.

- مشكلة ترويج مقولة ((الخطر الإسلامي الأخضر)):

تروج دوائر معادية في الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الغربية وفي وسائل الإعلام الغربية مقولة سلبية هي مقولة ((الخطر الإسلامي على الغرب وعلى العالم)).

وهذا يتطلب استنفار عربي كامل على مستوى الحكومات البعثات الدبلوماسية ووسائل الإعلام ورجال الفكر والأدب لاحتواء الآثار المدمرة البعيدة المدى لهذا المفهوم والعمل على تغييره.

- مشكلة اللا تسامح الغربي تجاه العالم العربي الإسلامي :

رغم تغني الغرب وتشدقه بالتسامح واتهامه العرب والمسلمين بعدم التسامح إلا أنه أخفق عبر تاريخه في تقديم أمثلة قوية عن التسامح مع الآخرين وحتى ضمن المحيط الغربي ذاته ((ولعلَّ الحرب العالمية الأولى والثانية وتداعياتها المؤسفة وما سبقها من حروب غربية – غربية خير مثال على ذلك)).

ومن مظاهر اللا تسامح الغربي تقديمه ((العلمانية)) وكأنها الحقيقة المطلقة الوحيدة في العالم التي لا يأتيها الباطل وأنها سر النجاح والتقدم والسلام دون أي مراعاة واحترام لوجهة نظر الأخر وظروفه وما يناسبه من مناهج ونماذج فكرية وسياسية واقتصادية قد تكون أكثر ملاءمة لظروفه وواقعه.

وهنا ينبغي على المحاور العربي أن يناقش نظيره الغربي أنه إذا كانت العلمانية هي النموذج الذي يناسب العالم فهذا لا يعني بالضرورة مناسبتها للعالم الإسلامي.

وفضلاً عن أنه محاولة العلمانية نموذجاً على العالم كله.

هو أعلى مراحل دكتاتورية التطرف العلماني ونموذجاً صارحاً لعدم التسامح واحترام الرأي الآخر.

- مشكلة الخطاب التآمريّ الانتصاريّ:

وتتجلى هذه المشكلة بكون الخطاب العربي الإسلامي يتسم بالطابع الاقتصادي، حيث الغلبة في الرأي والحجج هي حليفنا في النهاية دون الأخذ بالأسباب والعوامل الفعالة المؤدية

لهذه الغلبة، فضلاً عن سيطرة الفكر التأمري الخارجي، فالعالم كله يتآمر علينا.

وهكذا تؤدي هذه العلل في خطابنا إلى سيطرة النزعة الهروبية التي تجعل الإنسان لا يعترف بالخطأ ويقومه، ويفهم كلّ تفاصيل المشكلات وتعقيداتها برؤية موضوعية شاملة لا تلقي اللوم على الآخر وتتقوقع على ذاتها.

- مشكلة إهدار الفرص في العالم العربي والإسلامي:

إن العالم العربي والإسلامي هو عالم الفرص الضائعة التي تهدر تباعاً دون اغتنامها فلطالما أضعفنا حجج أصدقائنا في الغرب، وهذا يتطلب وجود مؤسسة عربية عالمية للحوار تابعة للجامعة العربية وللمؤتمر الإسلامي تأخذ على عاتقها اغتنام أي فرصة سياسية أو اقتصادية أو

ثقافية أو إعلامية ودعمها لتقوية خطابنا الحواري مع الغرب وتفعيله باستمرار.

- مشكلة الخطاب الديني العقائدي:

تعددت آراء خبراء حوار الثقافات حول مشكلة الخطاب الديني العقائدي، فمنهم من رأى ضرورة تطرق الحوار إلى القضايا الدينية والتركيز على المشتركات الدينية بين الإسلام والمسيحية والابتعاد عن الأمور العقائدية المختلف عليها كعقيدة الثالوث، ومنهم من رأى ألّا يكون الحوار على المستوى الديني، بل أن يقتصر على حوار الثقافات وقضاياه وآلياته.

- مشكلة الخطاب المتبني للعنف:

ينبغي أن يتسم الخطاب العربي الإسلامي بنبذ العنف فكراً وممارسة لأننا إذا ما أردنا لحوارنا الفكري والثقافي مع الغرب أن يستمر ويتواصل

محققاً درجة جيدة من النجاح لابد أن يكون منفتحاً، نابذاً لكافة أشكال العنف، ومتسامحاً مع التعددية الدينية والفكرية الغربية.

- مشكلة التفريق بين الإرهاب والمقاومة:

ينبغي للطرف العربي المسلم أم يوضح لنظيره الغربي بوضوح لا لبس فيه الفرق الجوهري بين ((الإرهاب)) و ((المقاومة)) وما هو ((الإرهاب)) وما هي ((المقاومة))، ومتى تبدأ كلمة ((الإرهاب))، ومتى تبدأ كلمة ((المقاومة)) والعكس؟

وهنا ينبغي تفنيد حجة النظر الغربية التي ترى أن المقاومة الفلسطينية واللبنانية للاحتلال الإسرائيلي هي إرهاب وإقناعه بأنها مقاومة مشروعة.

وهنا ينبغي أن يستند الطرف العربي المسلم إلى جهود فقهاء القانون الدولي والترجمة وخبراء المصطلحات في المعاجم اللغوية العربية والغربية.

- مشكلة تصحيح الصورة النمطية السلبية الخاطئة عن العرب والإسلام في الغرب:

يقع على عاتق الطرف الغربي من كتاب وإعلاميين ودبلوماسيين ومؤسسات ثقافية وخبراء حوار مهمة مزدوجة تتجلى بأهمية التصدي للمعلومات والصورة الخاطئة عن العرب والإسلام وتصحيح ما تراكم في الذهن الغربي بمن هذه الصورة والمعلومات النمطية الخاطئة والسلبية فالعرب وكذلك الإسلام لا يعرفون العداء للأديان، إنما للمعتدين، ولكل فكر استعماري عدائي.

وكـذلك مهمـة مواجهـة الأصـولية الإسـلامية المتطرفـة وتربيـة الأجيـال العربيـة علـى التعـاليم الإسـلامية السـامية الداعيـة للمحبـة والتسـامح والتعدد الديني والفكري واحترام الآخر.

- مشكلة فكر المسيحيين المتصهينين:

إن فكـر المسـيحية المتصـهينة في انتشـار مسـتمر في العـالم الغـربي، ممـا يشـكل خطـورة كبـيرة علـى العـالم العـربي والإسـلامي، وهـذا يتطلـب مـن المفكـر العـربي المتخصـص في ميـدان الحـوار والدبلوماسـية العربيـة والإعـلام العـربي بالتعامـل الجـدي مـع هـذا الفكـر العـدائي الـذي يـروج أفكـاره الهدامـة عـن المعركـة الكـبرى الهرماجـدون وهـدم المسـجد الأقصـى وبنـاء الهيكـل وعـودة المسـيح عليـه السـلام مـن خـلال 300 قنـاة تلفزيونية ؟!

- مشكلة عدم التفريق بين أوروبا وأمريكا:

ينبغي التفريق بين كل من وجهات النظر الأمريكية والأوروبية فيما يتعلق بالعرب والمسلمين، فالبدن واضح بين الاثنين ... فشتانَ مثلاً ما بين الولايات المتحدة الداعم لإسرائيل بلا حدود والمشجع لها في اعتداءاتها المتكررة على قطاع غزة وبناء المستوطنات والاعتداء على الأقصى وبين موقف السويد المعترف بقيام دولة فلسطينية.

وهنا ينبغي الحذر من سعي الولايات المتحدة لجر أوروبا لتبني موقفها فيما يتعلق بالعرب والمسلمين والنظرة إلى الحضارة العربية والدين الإسلامي الحنيف.

ومن الأمور الأخرى الواجب مراعاتها في هذا المجال:

- ضرورة ترتيب وضع الجالية العربية والإسلامية في الغرب.
- أهمية توحيد المنطلقات الفكرية الإسلامية للتعامل مع الغرب.
- ضرورة توسيع نطاق الحوار الإسلامي المسيحي إلى حوار ثلاثي: إسلامي مسيحي يهودي.
- ضرورة الحذر من الفكرة الغربية القائلة يا صلاح الإسلام ومن مهمتها رؤاها.
- مشكلة الغرب كمرجعية للخطاب الاستقلابي:

إحدى أهم مشكلات الحوار العربي مع الغرب تتجلى في قيام الفكر الأوروبي – وامتداده الأمريكي – على مفهوم اختزال الحضارة البشرية كلها في إطار التاريخ الأوروبي، فالحضارة

ولـدت علـى يـد الإغريـق، وانتشـرت بفضـل الرومـان، وانتكسـت في العصـور الوسـطى، ثم بدأت منذ عصر النهضة في الرواج والتطور وفق آلية متسارعة وناجزة يدركها الجميع.

((فـالفرد الأوروبي يحمـل جـراثيم هـذا الكـبرياء دائماً ، لأنه يتلقاها من المناخ الاستعماري الذي يتكـون فيـه منـذ الطفولـة ، ويتكـون مـن تصـوره للعالم وللإنسانية ، فهو يعتقد على الخصوص أن التـاريخ والحضـارة يبتـدأن مـن أثينـا ويمـران علـى رومـا ، ثم يختفيـان فجـأة مـن الوجـود لمـدة ألـف سـنة ، ثم يظهـران مـن جديـد بـباريس في حركـة النهضـة ، أما قبـل أثينـا فـلا شـيء يـذكر في ذهـن هـذا الفـرد المشـحون بالكـبرياء ، الـذي لا يـرى بين أرسطو وديكـارت إلا الفـراغ ، وهـذه النظـرة الخاصـة للغربيين هـي التي تشـوه فلسـفة الإنسـان

عندهم ، وتشوه بذلك السياسة الغربية في العالم))1

هكذا تسيطر فلسفة الإقصاء والتجاهل في الذهن الغربي لدور الإنسان غير الغربي في صياغة الازدهار الحضاري للإنسانية، وهذه مشكلة تكرس الانغلاق مقابل الانفتاح والتصلب مقابل المرونة التي ننشدها في حوارنا الثقافي والفكري مع الغرب على كافة المستويات الفكرية والثقافية والدبلوماسية والشعبية والإعلامية.

إن الغرب –كما يقول الباحث محمد راتب الحلاق – ((يحاول دائماً أن يقدم نفسه قوة، حضارة، حداثة، إنه هو الذي يحكم، هو شاهد العصر، يقدم نفسه، ويقدم رؤيته للآخرين. فهو العين التي تنظر وتحاكم.

لقد نجح الغرب في أن يجعل من نفسه المسطرة والإطار المرجعي الذي يقاس به التقدم والتخلف، الصحيح والفاسد. 2

((لقد جعل الاستعمار أوروبا قلب العالم ورأسه جغرافياً وسياسياً، وجعل الرجل الأبيض يحاصر بقية الأجناس من خلف ومن قدام، وتصرفت أوروبا من عصر الاستعمار كما لو كان الجنس الأبيض وحده – دون الجنس البشري كله – خليفة الله في الأرض، وعانى العالم منها الويلات)) 3

وكرس الغرب الثقافة الغربية على المناطق المستعمرة، ومن خلال مناهجها وأفكارها ينظر للإسلام كعقيدة وثقافة وحضارة، متجاهلاً الحقائق الصحيحة عن الإسلام وتعاليمه السامية

وتاريخه وحضارته، وهذا من أهم مشكلات وعقبات الحوار كما أشرنا آنفاً.

- مشكلة الغرب ... وإشعال الحروب:

رغم أن فكرة ((كلاوسفيتز)) القديمة ، من أن ((الحرب هي استمرار للسياسة بوسائل جديدة))1 قد طواها الزمن وألغتها النتائج الكارثية للحروب وتلاقي الدول على المصالح المشتركة إلا أنها مازالت حية في أذهان أساطين السياسة ودعاة التخطيط الاستراتيجي وقادة أجهزة المخابرات في العالم الغربي الذين يشعلون الحروب هنا وهناك تبعاً لمصالحهم السياسية والاقتصادية والاستراتيجية ، فهم بيدهم مفاتيح ألعاب الحروب : البداية والمسار والنهاية ، فهم ينصرون من يرون أن من مصلحتهم نصره ، ويخذلون من يرون في خذلانه فائدة لهم ، وإذا

أرادوا أن يمدوا في حرب قرابة عقد من الزمن لتصبح أطول من الحرب العالمية الثانية كالحرب العراقية الإيرانية فلا حرج ما دامت تحقق مصالحهم على حساب دماء الملايين والنموذج السوري أيضاً خير شاهد على ذلك .

ورغم قدرة الغرب الفائقة على إنهاء الحروب أو عدم التسبب بإشعالها على الأقل إلا أنه لا يأبه بدماء الضحايا ما داموا ليسوا غربيين وسقوطهم يحقق لهم المزيد من المكاسب والحيوية والمصالح الاستراتيجية وهذا يعود إلى أن إحدى أهم مشاكل الغرب – على حد وصف المؤرخ البريطاني الشهير ((أرنولد توينبي)) أنه يعيش حالة فراق بين العلم والقوة، وهذه المشكلة عقبة كأداء في طريق الحوار مع الغرب.

- مشكلة المصطلحات وصياغتها ودلالاتها وتأثيراتها في مسار الحوار:

تعترض أطراف الحوار مشكلة تتجلى في المصطلحات وصياغتها ودلالاتها ومراميها، وتأثيراتها، فثمة من يحاور فروداً بثقافة ((حوار الثقافات)) وثان يحاور بمنطق ((حوار الأديان)) وثالث يفهم الحوار على أنه ((حوار حضارات)) ورابع يفهمه على أنه ((حوار إسلامي مسيحي)).

وقد اشتد الجدل في الآونة الأخيرة حول ما يثيره كل مصطلح من هذه المصطلحات ((فبعضهم يرى مصطلح حوار الحضارات أنه مصطلح غامض ومتسع وملتبس، وبعضهم تنتابه حالة من الاستنفار والخطر من مصطلح – حوار الأديان –)) 4

((أما مصطلح – الحوار الإسلامي والمسيحي – فهو مصطلح يتم تداوله منذ عدة عقود، خاصة تحت رعاية الفاتيكان، ويرى أيضاً استخدام حوار الثقافات بأنه الأكثر دقة وتحديداً ويتسع لكافة أشكال الحوار)).

ويتبنى كاتب البحث هذا المصطلح لأنه بالإضافة لما سبق يتسق مع الأطر الفكرية والثقافية والإعلامية للحوار مع الغرب.

أما فيما يتعلق بمشكلة المصطلحات الآنفة الذكر فالرأي الأصوب هو قبول كافة هذه المصطلحات بعد تحديدها وتوضيح مراميها توضيحاً دقيقاً.

ولا ينبغي اتخاذ موقف صارم ضد مجرد مصطلح، في لحظة يعيش فيها العالم حالة لغوية ثقافية تعرف بالتضخم في المصطلحات.

((فطبقاً للغويات ونظرية المعلومات، فإنه كلما زاد مدى الاتساع في المعنى لمصطلح ما فإن قدرتنا على تصبح قاصرة وناقصة، وهذا الأمر ينطبق على المصطلحات الآنفة الذكر

وهذا ينعكس سلباً على أطراف الحوار، فيعرف الطرف (أ) الحوار بمعنى، ويفهم الطرف (ب) الحوار بمعنى آخر قد يكون مخالفاً.

****

أهم المراجع:

(1)– أنظر الحوار الذي أجرته مجلة ((نصف الدنيا)) مع الدكتور محمد سليم العوا بتاريخ 2005/1/28 .

(2)– وجيه ، د. حسن : حوار الثقافات : إدارة الأجندات والسيناريوهات المتنازعة ، دار الفكر ، ط1 ، دمشق 2008 ، ص141 .

(3)– حمدان ، جمال : استراتيجية الاستعمار والتحرير ، دار الهلال ، القاهرة 1969،ص123 .

(4) – جلبي ، د. خالص : بناء ثقافة السلم ، ط1 ، دار المنير ، دمشق 1999 ،ص117 .

****

خَـاتمَـة

إنَّ ثقافةُ الحِوار بين الثَّقافات، ومنها حِوار الثَّقافة العربية مع الثَّقافة الغربية يجب أن يكون بمثابة الأوكسجين للكائن الحي. إنَها ضرورية لكل شخص، ولكل شعب، ولكل ثقافة إنسانية، لأنَّ العالم لن يتحمَّل موجة رهيبة من الحروب والنزاعات وتصادم الثقافات.

إنَّ مصير العلم والمعرفة والمال على المستوى الإنساني سيكون كارثياً، بالقَدر نفسه الذي يؤثر على الخدمات الإنسانية الضرورية الصحية والتَّعليمية، وقبلهما قوتُ الإنسان.

وبالنتيجة سيكون الإنسان بين هلاكين هلاك التدمير بالأسلحة الفتَّاكة، ومنها الأسلحة النَّووية التي لن تظل حبيسة مخازن المفاعلات، وهلاك تفشي الأوبئة والأمراض نتيجة التَّلوث والانهيار الاقتصادي نتيجة هذه الحروب، ما يؤدي

بالنتيجة إلى وضع نهاية مأساوية للجنس البشري على كوكب الأرض.
ولذلكَ لا خيار سوى خيار الحِوار الذي ينبغي أن يكون فعَّالاً وديناميكياً ومتكاملاً ومُخططاً ومتواصلاً ومنظَّماً ليتمكَّن من توليد طاقة أخلاقية حيويّة لدى كل إنسان ومجتمع وثقافة، حيث يمكن لهذه الطَّاقة الأخلاقية أن تنبعث فقط عبر عملية التعايش، والحِوار، والتأثير المتبادل، والتعاون، والتَّقارب والتحالف المثمر، والعمل المشترك على تعميق ونشر ثقافة الحبّ العالمي بين كافة الشُّعوب والثَّقافات.
ولنتذكَّر دائماً أنَّ أسمَى أهداف الحِوار هي صياغة نمط حياة صالح لعالم الغد، على أن يكون نموذجاً مثمراً، سامياً، مرغوباً فيه، وواقعياً في الوقت نفسه.

****

الفَهـرس

الإهداء.....3

المقدّمة.....4

الفصل الأول

دور وسائل التواصل الرقمي في حوار الثقافات..... 8

الفصل الثاني

الشَّرق العربي والغرب

((المؤثرات الثقافية العربية في نهضة الغرب))..... 23

الفصل الثالث

دَور المُشْتَرَكات الثقافيّة

في تفعيل الحِوار العربي مع الغرب..... 53

الفصل الرابع

الصُّورة النَّمطية السَّلبية عن العَرب في الذِّهن الغَربي.....82

الفصل الخامس

مقدّمة في الحِوار العربي الإسلامي – الروسي.....115

الفصل السادس
من جوانب أزمة الثقافة العربية
وآثارها على الحِوَار معَ الغَرب.....138

الفصل السابع
الشرق في عيون الغرب
والغرب في عيون الشرق " ثنائية الافتراق والاقتراب".....158

الفصل الثامن
دَور الكِتَابات الغَربية المنصِفة في تصحيح
الصُّورة النَّمطية عن العرب والمسلمين..... 183

الفصل التاسع
تَحَديات العَولمَة والحِوَار معَ الغَرب..... 198

الفصل العاشر
ثقافة السَّلام في مواجهة ثقافة الكراهية والعنف.....219

الفصل الحادي عشر
القيم الروحية وأثرها في صنع السلام.....235

الفصل الثاني عشر
القيم الدِّينية والأخلاقية المشتركة
بين المسلمين والمسيحيين.....243

الفصل الثالث عشر **الحِوار كوسيلة فعالة لتجنب الحروب وصنع السلام..... 262**
الفصل الرابع عشر **دور المنظمات العربية والإقليمية والدولية في حِوار الثقافات..... 293**
الفصل الخامس عشر **مشكلات الحِوار الراهنة بين العرب والغرب.....317**
خَاتِمَة..... 343
الفهرس 346

* * *

تم بحمد اللّه

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني محفوظة للناشر